الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الدكتور الطاهر مولاي –سعيدة–

كلية: الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها.

شعبة: أدب عربي.

مذكـرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص لسانيات الخطاب الموسومة بـ:

آليات الاتساق والانسجام

في الخطاب الشعري "الخمرة الإلهية" لابن الفارض

"أنموذجا"

إشـــراف الدكتورة:

– حفيظة مخلوف.

إعداد الطالبة:

– سعدوني فاطيمة.

لجنة المناقشة

الأستاذة.....حاكم عمارية.....رئيسا

الأستاذ.....حفيظة مخلوف.....مشرفا

الأستاذ.....بن ضيافة كريمة زهرة.....مناقشا

السنة الجامعية:1438–1439هـ/ 2017– 2018م

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء

والمرسلين وعلى آله وصحبه وإلى من اتبعه بهداه إلى يوم الدين.

نشكر الله عز وجل على نعمة العلم، ونحمده كثيراً على إنجاز هذا العمل، فلا يسعني في فاتحة بحثي هذا إلا أن أتقدم بخالص شكري وكامل احترامي إلى الدكتورة المشرفة حفيظة مخلوف التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي كانت عوناً في إتمام هذه المذكرة.

ويدفعني واجب الوفاء أن أتوجه بالشكر إلى الهيأة التدريسية في قسم اللغة العربية.

والشكر موصول إلى الأستاذ قطواش إبراهيم الخليل وإلى الأستاذ زايدي أمين وإلى من مد لي يد العون من قريب أو بعيد، وساعدني في إنجاز هذه المذكرة لترى بصيص النور وشعاع الحياة

وفي الأخير أسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء وأن يوفقني إن شاء الله إنه نعم المولى ونعم المصير.

إهداء

لا تكفي العبارات مهما نطقت وعبرت ....

ولا تفي الإشارات مهما أشارت ولمحت ....

أهدي ثمرة جهدي:

إلى صدر كالبحر ضمني إليه، إلى النسمة التي لا غنى لي عن اشتياق شنا عطفها، إلى التي ملأت قلبي بحدائق الحنان والحب والعطاء، إلى التي انتظرت هذه اللحظة بفارغ الصبر: أمي ثم أمي ثم أمي أطال الله في عمرها.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى الذي مازالت استسقي منه مكارم الأخلاق إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، أبي العزيز.

إلى عز الدنيا وركن الشدائد إخوتي: سليمان، عبد القادر، العيد، عبد الرحمن، عبد الكريم.

إلى جذور الوفاء وأغصان الطيبة: عائشة، نصيرة، حنان.

إلى أحلى تحفة زينة حياتي حبيبتي وأختي درغال خولة منها وإليها وبها، عرفاناً وإقرار.

إلى رفقاء الدرب أستاذي، زميلاتي وأخص بالذكر صبرينة، حنان.

الفصل الأول

آليات الاتساق والانسجام

المبحث الأول: ماهية الاتساق والانسجام

المبحث الثاني: أدوات الاتساق والانسجام

المبحث الثالث: الفرق بينهما.

المبحث الأول: مفهوم آليات الاتساق والانسجام.

إن لسانيات النص تدرس النص على أساس أنه مجموعة ممتدة وواسعة من الجمل والفقرات والمتواليات والمقاطع المترابطة شكلا ودلالة ووظيفة، ضمن سياق تداولي وتواصلي معين، ولذلك كان الولوج إلى التحليل النصي عن طريق إبراز الخصائص التي تساهم في جعل النص منسقا ومنسجما ومترابطا، بالتركيز على الروابط التركيبية، والدلالية، والسياقية، أي تبحث عن آليات بناء النص.

ومن القضايا التي عالجتها لسانيات النص: التماسك النصي (La coherencetetuelle)، والاتساق (cohesion)، والانسجام (coherence)، وهذا ما أدى بكثير من الباحثين المهتمين بالدراسات النصية إلى توجيه الأنظار إلى أحد الآليات المهمة في تماسك النصوص، وهي آلية الاتساق والانسجام. فما هو مفهومها وماهي أهم أدواتها؟.

1. مفهوم الاتساق:

أ. لغة:

يعرفه "ابن منظور" في معجمه الشهير لسان العرب «استُوْسقَت الإبل: اجتمعت، ووسق الإبل: طردها وجمعها... واتسقت الإبل واستْوسقت: اجتمعت، وقد وسق الليل، وكل ما إنضم فقد اتسق، والطريق يأتسِقُ، ويتسِقُ أي ينضم... واتسق القمر: استوى، وفي التنزيل "فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق"[1]- سورة الانشقاق (16-17-18)

[1] سورة الانشقاق، الآيات 16 – 17 – 18.

ويقول ابن الفراء: وما وَسَق أي وما جمع وضم، واتساق القمر: املاءه، فقد وَسِقَ... والاتساق الانتظام».[1]

نلاحظ مما أورده "ابن منظور" أن لكلمة الاتساق معاني كثيرة منها (الانتظام)، الانضمام، الاجتماع، والاستواء.

وجاء في المعجم الوسيط «وسقت الدابة تسق وسقاً، ووسوقاً: حملت، وأغلقت على الماء في رحمها، فهي واسق... ووسقتِ النخلة: حملت، ووسق الشيء: ضمه وجمعه... ووسق الحَب: جعله وسقاً وسقا، واتسق الشيء، اجتمع وانضم، واتسق انتظم، واتسق القمر: استوى وامتلأ، (استوسق) الشيء: اجتمع وإنضم، يقال: استوسقت الإبل، استوسق الأمر: انتظم، ويقال استوسق له الامر: أمكنه»[2].

مما هو ملاحظ أن كل ما جاء في المعجم الوسيط حول الاتساق قد ذكرت أيضا في لسان العرب وهي أيضا تحمل معنى الاجتماع، والانضمام، والانتظام.

ب. اصطلاحا:

إن الاتساق أحد المفاهيم الرئيسة في لسانيات النص، وهو يخص التماسك على المستوى البنائي الشكلي، بحيث يعرفه "محمد خطابي" بأنه ذلك "التماسك الشديد بين أجزاء المشكلة لنص خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"[3] ومن أجل وصف اتساق النص "يسلك المحلل الواصف طريقة خطية، متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية من غالبا) حتى نهايته، راصدا الضمائر

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص: 4284 – 4285.

[2] معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج1، جمهورية مصر العربية، دار الدعوة، إسطنبول – تركيا، ص1033.

[3] محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل الى انسجام الخطاب، ط1، 1991م، المركز الثقافي العربي، بيروت، الحمراء، ص5.

والإشارات المحلية، إحالة قبلية وإحالة بعدية، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، الاستبدال، والحذف والمقارنة والاستدراك وهلم جرا"[1] أي أن مفهوم الاتساق هو الترابط الشكلي بين أجزاء النص لأنه يظهر في المستوى السطحي للنص من خلال الجمل.

يرى كل من "هاليداي" و"رقية حسن" "أن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، إنه يحيل إلى علاقات معنوية قائمة داخل النص والتي تحدده كنص"[2] حيث أن الوحدة الدلالية للنص تأتي من الاتساق الموجود بين الجمل التي يتكون منها. إلا أن "محمد خطابي" بين أن "الاتساق لا يقتصر على الجانب الدلالي إلى مفردات في النظام النحوي والمعجمي ثم إلى أصوات أو كتابة في النظام الصوتي والمكتوب"[3] فعلاقة الاتساق دلالية تحيل إلى علاقات داخل النص والتي تحدده كنص.

كل جملة في النص تعطي نوعا من الترابط مع الجملة التي تسبقها، والتي تلحقها، فتحتوي كل جملة على رابط اتساقي بالجملة التي تسبقها في النص من جهة، وأخرى بالجملة التي تلحقها من جهة أخرى. وبهذا الصدد يعرف "أحمد عفيفي" "الاتساق هو معيار يهتم بظاهرة النص ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي، وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي"[4].

أما "صبحي إبراهيم الفقي" فقد قال: "بأن مصطلح "Coherence" يستخدم للتماسك الدلالي ويرتبط بالروابط الدلالية، بينما يعني مصطلح "Cohesion" العلاقات

[1] المرجع السابق، ص5.

[2] هاليداي ورقية حسن، الاتساق في اللغة الإنجليزية، ص15.

[3] المرجع السابق، ص15.

[4] أحمد عفيفي، نحو النص، ص90.

النحوية، أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النص وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة من الجمل"[1]

ثم يضيف قائلا: "نرى بدلا من هذا الاختلاف أن المصطلحين يعنيان معا التماسك النصي، ومن ثم يجب التوحيد بينهما باختيار أحدهما وليكن "Cohesion" ثم تقسمه التماسك الكلي والتماسك الدلالي، فالأول: يهتم بعلاقة التماسك الشكلية مما يحقق التواصل الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقة التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى... ومن ثم سوف نعتمد على مصطلح "Cohesion" بمعنى التماسك."[2] "فصبحي إبراهيم" جمع بين الاتساق والانسجام فولد مصطلح سماه بالتماسك النصي.

الاتساق يمثل دعامة أساسية من دعائم الدرس النصي، فهو يتصل بالتماسك النصي داخل النص، ويرتبط بالوسائل والروابط الصورية السطحية، وتتحد مهمته في توفير عناصر الإلتحام، وتحقيق الترابط بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة، هذا الترابط هو الذي يخلق بنية النص ويحقق استمراريته.

يذهب "محمد الشاوش" في تعريفه للاتساق "بكونه مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة ببعضها البعض"[3] فقوله الإمكانيات المتاحة في اللغة هي إشارة واضحة إلى الروابط الشكلية، أو العناصر النحوية المعجمية البارزة في اللغة التي تعمل على ربط أجزاء النص المختلفة.

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص95.

[2] المرجع نفسه، ص96.

[3] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ج1، ط1، 1431هـ/ 2001م، ص124.

"الاتساق مظهر مميز للنص عن اللا نص، لأن المتكلم اللغوي يعرف النص إذا توفر على وحدة كلية، وترابطت أجزاءه واتسقت وحداته وتوفرت فيه مظاهر الوحدة والترابط. أما اللا نص فهو الذي يتسم بفك أواصره، وتهلهل روابطه البنيوية، وتمزق نسيجه النصي"[1]

بمعنى أن المتكلم هو الذي يمتلك كفاءة نصية ليميز النص عن اللانص.

وعلى هذا الأساس نجد الاتساق يأخذ مفهوما آخر هو الانتظام. ففي هذا الصدد يقول "عبد القاهر الجرجاني" معرفاً النظم "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"[2]

إضافة إلى ذلك نجد "سيد قطب" في كتابه "النقد الأدبي أصوله ومناهجه" يشير إلى أن نظرية النظم هي أول نظرية في تاريخ النقد العربي، وخلاصتها "إن ترتيب المعاني في الذهن هو الذي يقتضي ترتيب الألفاظ في العبارة، وإن اللفظ لا حيز له في ذاته وإنما في تناسق معناه مع معنى اللفظ الذي يجاوره في النظم، أي أن تنسيق الكلمات والمعاني بحيث يبدي النظم جمال الألفاظ والمعاني مجتمعة. وإن الجمال الفني رهين بحسن النسق وأحسن النظم"[3]

فالنص يكسب جمالية من خلال حسن النسق فـ "يمنى العيد" في كتابه "في معرفة النص" تطرق إلى مفهوم النسق حيث يقول "يتحدد هذا المفهوم في نظرتنا إلى البنية ككل وليس في نظرتنا إلى العناصر التي تتكون منها وبها البنية. ذلك أن البنية ليست مجموع هذه العناصر، بل هي هذه العناصر التي ينهض بينها من علاقات تنتظم في حركة العنصر خارج البنية غيره

[1] جميل الحمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص70.

[2] وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، ط1، 1983م، ص56.

[3] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، ط6، 1990م، ص126.

داخلها. وهو يكتسب قيمته داخل البنية وفي علاقة ببقية العناصر أو بموقعه في شبكة العلاقات التي تنظم العناصر والتي بها تنهض البنية فتنتج نسقها."[1] بمعنى أن تنسيق الكلمات والمعاني يؤدي إلى فهم النص.

إضافة إلى ابن أبي الأصبع "المصري" الذي عقد في كتابه باباً سماه (باب حسن النسق)، يقول فيه " حسن النسق من محاسن الكلام، وهو أن تأتي الكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليماً متحسنا لا معيباً مستهجنا، والمستحسن من ذلك ان يكون كل بيت اذ أُفرد، قام بنفسه واستقل معناه بلفظه، واذا ردفه مجاوره، صار بمنزلة البيت الواحد بحيث يعتقد السامع انهما اذا انفصلا تجزأ احسنهما ونقص كمالهما وتقسم معناهما، وهما ليسا كذلك، بل حالهما في كمال الحسن وتمام المعنى مع الانفراد والافتراق كحالهما مع الالتئام والاجتماع"[2] فنقول هذا كلام منسق إذ كانت ابياته متتاليات متلاحمات، تؤدي المعنى.

2. مفهوم الانسجام:

أ. لغة:

جاء في لسان العرب "سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجُمُهُ وتسجمه سجماً وسُجُوماً وسجمَناً: وهو قطران الدمع وسيلانه، قليلا كان أو كثيرا، وانسجم الماءُ والدمع فهو منسجم اذ انسج:م أي انصب، وسَجمت السحابة مطرها تسجيماً وتسجاماً أي صَبته والانسجام هو الانصباب"[3]

[1] يمنى العيد، في معرفة النص (دراسات في النقد الأدبي)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1983م، ص32.

[2] خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية (بحث في الأطر المنهجية والنظرية)، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015، ص52.

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص457 – 458.

وفي معجم محيط المحيط "لبطرس البستاني" نجد مادة (س، ج، م) بنفس المعنى يقول: "سجم الرجل الدمع أي صبه وسجم عن الأمر سَجُوماً وسُجوماَ أي أبطأه"[1]

فهذه المعاني كلها تتصل بمعنى الانسجام الذي تدور حوله دراستنا، حيث إن انصباب الماء، ودوام المطر يقابل إنصباب المعاني في النص، وتجميع المعاني المستخلصة من النص يؤدي إلى وحدته دلاليا.

ب. اصطلاحا:

يعتبر الانسجام من المفاهيم التي وظفتها لسانيات النص في الكشف عن التلاحم القائم بين وحدات النص "وتشمل وسائل الإلتحام على عناصر منطقية كالسلبية والعموم والخصوص، معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية ويتدعم الإلتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم"[2]

ويعتبر الانسجام أعم من الاتساق كما يرى "محمد خطابي" "الانسجام أعم من الاتساق كما يغدو أعمق منه، بحيث يتطلب بناء الانسجام، من المتلقى صرف الإهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده"[3]

بحيث يطلب الانسجام من المتلقي النظر إلى ما هو ليس شكليا ولا معجميا، بل إلى علاقات خفية قائمة داخل النص المراد دراسته، حيث يهتم بترابط المفاهيم والعلاقات الدلالية المتحققة داخله.

[1] بطرس البستاني، محيط المحيط، ط1، ج1، لبنان، بيروت، 1987م، ص298.
[2] الاتساق والانسجام النصي، ص29.
[3] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص6.

كما ورد تعريف لمصطلح الانسجام (coherence) في كتاب "إبراهيم الفقي" " جاء فيه أن الانسجام هو مجموعة العلاقات التي تربط معاني الاقوال في الخطاب أو معاني الجمل في النص، وبصفة عامة يصبح النص متماسكا إذا وجدت سلسلة من الجمل تطور الفكرة الأساسية"[1]

ومصطلح الانسجام أطلق عليه "سعد مصلوح" "ما يسمى بالحبك ويعني به الاستمرارية المحققة في عالم النص وهي الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابط بين هذه المفاهيم"[2]

يذهب "سوفسكي" إلى تعريف الانسجام بقوله "يقضى للجمل والمنطوقات بأنها محبوكة، إذا اتصلت بعض المعلومات فيها ببعض، في إطار نصي أو موقف إتصالي اتصالا لا يشعر به المستمعون أو القراء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات"[3] فترابط المعلومات في النص وعدم انقطاعها شرط لانسجام النصوص.

أما "ليفاندوفسكي" فيحدد الانسجام على أنه حصيلة تفاعل دلالي يؤدي إلى ترابط معنوي بين التصورات والمعارف يحددها متلقي النص، حيث يقول "ليس الحبك محض خاص من خواص النص، ولكنه أيضا حصيلة اعتبارات معرفية (نبائية) عند المستمعين أو مركب من المفاهيم وما بينهما من علاقات، على معنى أنها شبكة دلالية مختزلة، لا يتناولها النص غالبا على مستوى الشكل، فالمستمع أو القارئ هو الذي يصمم الحبك الضروري أو ينشئه"[4]

---

[1] محي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص94

[2] محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999م، ص35 – 38.

[3] Sowilski, Bernhard: Text Linguistic verlage. W.Koll Hammer, Stutrgart, Berlin, Koelm. Minz 1983, s83

[4] Lewandouski: Theoder: Linguistic, Woerterbich, heidelberg, Wiesbaden, 1994, s546

فهذه التعريفات كلها تشير إلى الأفكار والمعلومات والمعاني التي يصممها كاتب النص، والقارئ يسعى إلى إيجاد ما يربط تلك الأفكار.

مما سبق يمكننا القول أن الانسجام عبارة عن تنظيم مفهوم النص فهو من أهم المقاييس النصية التي تميز بين النص واللا نص، فالانسجام إنتاج لعملية تفسيرية من خلال حكم المتلقي على النص، فهو الذي يقوم على فهمه وتفسيريه، وقد يلجأ إلى التأويل معتمداً على عناصر خارج النص تتعلق بثقافته.

المبحث الثاني: أدوات الاتساق والانسجام.

تعددت آراء العلماء واختلفت حول أدوات الاتساق المحققة للتماسك النصي، غير أن هذا لا يمنع من وجود أدوات رئيسية تشترك بينهم، وسنحاول أن نعرض بعض ما قدمه النصيون فيما يتعلق بحصر هذه الأدوات، ومن أبرز من تحدث عن هذه الأدوات "هاليداي" و"رقية حسن" في كتابهما (الاتساق في اللغة الانجليزية) (cohesion in English) في كيفية تشكل النص على إيمانهما العميق بأن نحو النص، ما هو سوى دراسة الاعتبارات اللغوية الخمسة الرابطة بين جمل لغوية في متتالية خطية وهذه الاعتبارات هي:

1- أدوات الاتساق:

1.1 الإحالة (reference)

2.1 الوصل (Conjonction)

3.1 الإبدال (substitution)

4.1 الحذف (ellipse)

5.1 التماسك المعجمي (cohesion lexical).[1]

ولهذه الأدوات والروابط دور كبير في تحقيق الوحدة الكلية للنص، إذا خلا النص منها فإنه يصبح عبارة عن جمل لا يربط بينها أي رابط.

يمكن أن نمثل الأدوات السابقة بالشكل التالي:

[1] شعيب محمودي، بينة النص في سورة الكهف (مقاربة نصية للاتساق والسياق)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات، بإشراف د. يحي بعيطيش، 2010/2009، ص39

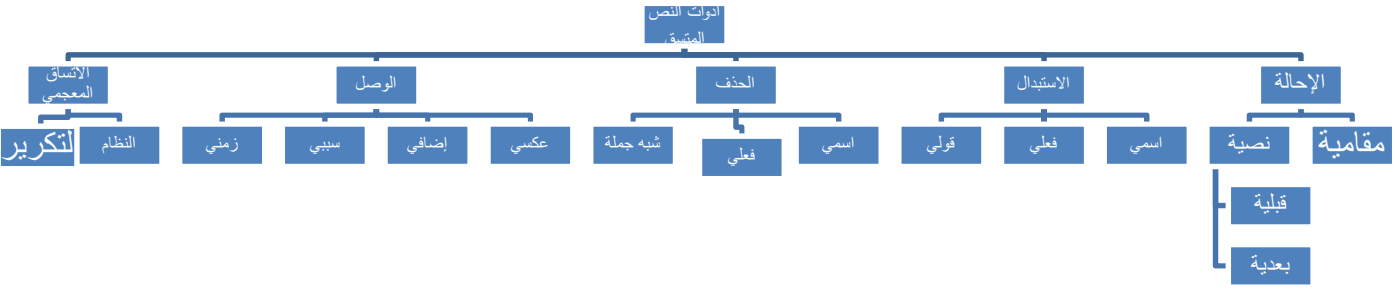

فالنص المتسق هو ما ترابطت اجزاؤه، وتلاحمت بنياته، وانسجمت بأدوات لغوية وتركيبية.[1] وسنتطرق فيما يلي إلى مفهوم كل منها:

1.1 الإحالة:

يقول "جون لوينز" في سياق حديثه عن الإحالة "إنها العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات"[2] فالأسماء تحيل إلى مسميات، وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها. "وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة"[3] أي أن الإحالة مادة أولية يلجأ إليها محلل النص لكي يثبت اتساق نصه، وهي من أهم أدوات اتساق النصوص.

تعتبر الإحالة علاقة دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه.[4]

---

[1] جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص. ص70 – 71.

[2] أحمد عفيفي، نحو النص، ص116

[3] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص17.

[4] المرجع نفسه، ص17

الإحالة علاقة من العلاقات الموجودة في النص تقع بين الأحداث والعبارات والمواقف، فالفظة لا تقوم مستقرة ذاتها عن عناصر الملفوظ على عناصر لفظية أخرى يمكن أن نقدرها داخل السياق، أو في المقام، والأخيرة علاقات يمكن رصدها بين مكوناته.[1]

يرى "سعيد حسن بحيري" "أن الإحالة هي علاقة الربط الأساسي بين الكونيين النصيين، عنصر التعلق، وصيغ الإحالة وتتم عبر سمات دلالية، فالمكونات متوافقات أي تطابق جزئي للقدرة الاحالية على الأقل، بين عنصر التعلق وصيغ الإحالة"[2] أي أن الإحالة تؤسس من خلال عنصرين لغويين هما عنصر التعلق وصيغ الإحالة.

الإحالة ظاهرة واقعة في كل منظومة فكرية، فاللغة نظام إحالي يحيل إلى ما هو غير لغوي، وتقصد بالإحالة في هذا المقام استخدام الضمير الذي يعود على اسم سابق أو لاحق له، بدلا من تكرار الاسم نفسه، وهذا ما ذهب اليه "ميرفي" (Murphy) "بأنها تركيب لغوي يشير إلى جزء ما ذكر صراحة أو ضمنا في النص الذي سبقه أو يليه"[3] وذلك أن العنصر المحال يعتمد على عنصر آخر وهو محال اليه، لا يمكن فهم الأول إلا بالعودة إلى على ما يحال عليه.

وتطلق العناصر الحالية كما يعرفها الأزهر الزناد على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة. بل تقود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر.[4]

---

[1] مجلة جامعة دمشق، عناصر الاتساق والانسجام النصي، جامعة دمشق، م29، العدد 1+2، 2013، ص511 – 512.

[2] ينظر، سعيد حسن بحيري، علم لغة النص نحو آفاق جديدة، ص275.

[3] ريما سعد سعادة الجرف، مهارات التعرف على الترابط في النص، مجلة رسالة الخليج العربي، ص82.

[4] الأزهر زناد، نسيج النص، ص118

"يعتمد نجاح عملية الإحالة على قدرة المستمع على التعرف على المسمى الذي يقصده المتكلم باستعمال العبارة المحيلة، وذلك لفهم الرسالة اللغوية إليه".[1]

فالإحالة من أهم وسائل الاتساق (السبك) وهي من المعايير المهمة التي تسهم بشكل فعال في الكفاءة النصية، وتنقسم إلى:

أولا: إحالة داخلية، أي داخل النص أو داخل اللغة، وينقسم هذا النوع الداخلي بدوره إلى قسمين:

أ. **احالة قبيلة:** أي إحالة على السابق (أي إلى الوراء)

ب. **إحالة بعدية:** أي احالة على اللاحق (أي إلى الأمام)

ثانيا: إحالة خارجية، أي خارج النص أو خارج اللغة، وهي إحالة على غير مذكور، أو إحالة مقامية[2].

ثالثا: إحالة نصية (إحالة داخل النص).

تسهم مباشرة في تحقيق اتساق النص لأنها تحيل داخله، ويرى "هاليداي" و"رقية" حسن أن "الإحالة النصية تقوم بدور هام في استاق النص وترابطه تماسكا وانسجاما وتنضيداً"[3] فهي رابط يقوي أواصر العناصر المتباعدة. ولها علاقة وثيقة بالداخل النصي وتنقسم بدورها إلى:

[1] براون ويون، تحليل الخطاب، جامعة الملك سعود، 1418هـ / 1997م، ص246.

[2] د. أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ص40 – 41.

[3] محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل الى انسجام الخطاب، ص18.

أ. **الإحالة القبلية:** (إحالة على السابق) (Anaphora)

وهي تحيل على سابق ما، يعرفها "الأزهر الزناد" بأنها "تعود على مفسِّر (Antecedent) سبق التلفظ به، وفيها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر، وليس الأمر كما استقّر في الدرس اللغوي، إذ يعتقد أن المضمر يعوّض لفظ المفسر المذكور قبله، فتكون الإحالة بناء للنص على صورته التامة التي كان من المفروض أن يكون عليها، فهي تحليل جديد له (Reprocessing) من حيث بناء جديد له"[1].

ب. **إحالة بعدية:** (إحالة على اللاحق) (Cataphora)

وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها[2] بحيث توجه القارئ أو المستمع إلى قراءة جمل أو فقرات مذكورة لاحقاً.

وهو استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقا في النص أو المحادثة.

"فمصطلح الإحالة النصية يركز على العلاقات بين الأنماط الموجودة في النص ذاته ولا تعنى بالعلاقة بين هذه الأنماط والأشياء الخارجية عن النص وقد تكون بين الضمير وكلمة، وكلمة وكلمة، أو عبارة، أو جملة وجملة أو فقرة وفقرة وغيرها من الأنماط".[3]

فالإحالة سواء كانت قبلية أو بعدية، فهي تحقق التماسك داخل النص وذلك بواسطة أدواتها كالضمائر، وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة.

---

[1] الأزهر زناد، نسيج النص، ص118 – 119.

[2] صبحي ابراهيم، على اللغة النصي، ص40.

[3] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص94.

1. **الضمائر**: وتنقسم إلى:

أ. وجودية: مثل، أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن... الخ.

ب. ملكية: مثل، كتابي، كتابك، كتابهم، كتابنا، كتابه... الخ.

2. **أسماء الإشارة**: يمكن تصنيفها حسب الزمان والمكان (الآن، غدا...) (هنا، هناك...) أو حسب القرب (هذا، هذه...) أو البعد (ذاك، تلك...) وهي تحيل مثل الضمائر إحالة قبلية، ومن ثم تساهم في اتساق النص ويمكن أن تحيل إلى عنصر سابق أو جملة بأكملها أو متتالية من الجمل.

3. **أدوات المقارنة**: وتنقسم إلى عامة يتفرع منها التطابق والتشابه والاختلاف، وإلى خاصة تتفرع إلى كمية وكيفية (أجمل من، جميل مثل...). أما من منظور الاتساق فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية[1].

ثانيا: إحالة مقامية (إحالة إلى خارج النص)

يذهب "هاليداي" و"رقية حسن" "بهذا الخصوص إلى أن الإحالة المقامية تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم (...) في الاتساق بشكل مباشر"[2]. ويعرفها "الأزهر الزناد" بقول "هي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملا إذ يمثل كائنا أو مرجعا موجود مستقلا بنفسه، فهوي

[1] ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991م، ص18 – 19.

[2] المرجع نفسه، ص17، نقلا عن هاليداي ورقية حسن، الاتساق في الانجليزية، ص37

يمكن أن يحيل عليه المتكلم"[1]. فهي تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الاشاري والعنصر الإحالي في المرجع.

فهذا النوع من الإحالة يتوقف على معرفة سياق الحال، أو الاحداث والمواقف التي تحيط بالنص، حتى يمكن معرفة المحال إليه من بين الأشياء والملابسات المحيطة بالنص.[2]

2.1 الاستبدال:

الاستبدال عملية معجمية نحوية تقوم بين كلمات أو عبارات، والاستبدال من مظاهر اتساق النصوص نظرا لعلاقته القبلية بين عنصر متأخر وعنصر متقدم.

"يعد الاستبدال شأنه في ذلك شأن الإحالة، علاقة اتساق، إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى الدلالي. ويعتبر الاستبدال من جهة أخرى وسيلة أساسية تعتمد في اتساق النص، يستخلص من كونه عملية داخل النص، أنه نصي على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية، أي علاقة بين عنصر متأخر وبين عنصر متقدم، وبناء عليه يعد الاستبدال مصدرا أساسيا من مصادر اتساق النصوص.

ينقسم الاستبدال إلى ثلاث أنواع:

- استبدال اسمي: ويتم باستعمال العناصر: Same, ones, one
- استبدال فعلي: تمثله استعمال العنصر .do
- استبدال قولي: ويستعمل فيه العنصران Not, so

[1] الازهر الزناد، نسيج النص، ص119.

[2] د. صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، ط1، 2000، ص41.

من الضروري التساؤل كيف يساهم الاستبدال في اتساق النص؟ يكمن الجواب في العلاقة بين العنصرين المستبدِل والمستبدَل، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وبين لاحق فيه، ومن ثم يمكن الحديث عن الاستمرارية (أي وجود عنصر المستبدل بشكل ما في الجملة اللاحقة) مثال:

My axe is too blunt, I must get a new one

فأسي جد مثلومة، يجب ان أقتني [فأساً] أخرى حادة.

إذا أخذنا العنصر one كمستبدل لعنصر [فأساً]، فسوف نجد أن فأس مستمرة في one وإن كانت فأساً مختلفة عن الأولى، إذ أن الأولى جد مثلومة، بينما الثانية حادة.

بالإضافة إلى ما سبق هناك حقيقة أخرى تؤكد مساهمة الاستبدال في اتساق النص (لنص قبليا، وفي هذا العود يمكن) وهي استحالة فهم ما يعنيه one أو do أو so كعناصر مستبدلة بالعودة إلى ماهية متعلقة به قبليا، وفي هذا العود يمكن ما يسمى لدى "هاليداي" و"رقية حسن" بمعنى الاستبدال في اتساق النص، أي أنه ينبغي البحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النص السابق، أي أن المعلومات التي تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر في النص".[1]

3.1 **الحذف**:

يعتبر الحذف ظاهرة لغوية إختصت به جميع اللغات الإنسانية، بحيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتماداً على ما سبق ذكره، ولهذا لقيت هذه الظاهرة عناية كبيرة من طرف علماء اللغة وأصحاب الاهتمام

[1] محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل الى انسجام الخطاب، ص19 – 20 – 21.

وغيرهم، فالحذف واحد من العوامل التي تحقق التماسك النصي. فما دور الحذف؟ وكيف يكون له دورٌ في تماسك النصوص؟

❖ **لغة:**

يدور المعنى اللغوي لمادة الحذف حول القطع، من طرف خاصة، والطرح والإسقاط.[1] وهو حذف جزء من الجملة الثانية، ودل عليه في الجملة الثانية.

مثال: اين رأيت السيارة؟ – في الشارع.

فالمحذوف من هذه الجملة (رأيتها).

❖ **اصطلاحا:**

ذكر "كريستال" معناه الاصطلاحي في موسوعته ومعجمه تحت مصطلح"Ellipsis" وهو حذف جزء من الجملة، من الجملة الثانية، ودل عليه دليل في الجملة الأولى وهنا كريستال يؤكد على وجود دليل في الجملة الأولى لقيام الحذف في الجملة الثانية.[2]

يرى "دي بوجراند" بأنه استبعاد للعبارات السطحية التي لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن.[3] ينبغي البحث عن دور الحذف في الاتساق في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة، فهو يساعد منشئ النص على الاختصار وعدم الاطالة.

الحذف بإعتباره وسيلة من وسائل التماسك، لا يختلف دلالة عن الاستبدال وهما متشابهان جداً غير أن الحذف استبدال من الصفر لأن الحذف لا أثر له إلا لدلالة فلا يحل

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص774.

[2] صبحي ابرهيم الفقي، علم اللغة النصيبين النظرية والتطبيق، ص191.

[3] دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418هـ / 1998م، ص340.

شيء محل المحذوف، أما الاستبدال فيترك أثراً يسترشد به المتلقي وهو كلمة من الكلمات المشار إليها في الاستبدال.[1]

الحذف ظاهرة أساسية، في بناء الجملة فيكون أوضح عندما نحذف ونترك خاصية من خواص الحذف.

تحدث "صبحي إبراهيم الفقي" في كتابه عن أنماط الحذف في قوله "فنجد أنها تبدأ من حذف الحركة أو الصوت ثم الحرف ثم الكلمة ثم العبارة ثم الجملة ثم أكثر من الجملة، والكلمة قد تكون اسماً وقد تكون فعلاً مفرداً."[2]

لقد قسم الباحثان "هاليداي" و"رقية حسن" الحذف إلى:

1. **الحذف الاسمي**: حذف اسم داخل المركب الاسمي مثلا:

Which hat will you wear? – This is the best.

(أي قبعة ستلبس؟ – هذه أحسن.)

واضح أن القبعة، قد حذفت في الجواب، وكما يقرر الباحثان ذلك فإن الحذف الاسمي لا يقع إلا في الأسماء المشتركة (Common nouns)

2. الحذف الفعلي: حذف داخل المركب الفعلي مثلا:

Have you been swimming? – Yes, I have.

(هل كنت تسبح؟ – نعم، فعلت.)

---

[1] احمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط1، 2001، ص126.

[2] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص191.

3. الحذف داخل شبه الجملة: مثلا:

How much does it cost? – Five pounds.

(كم ثمنه؟ – خمسة جنيهات.)

يتضح من خلال الأمثلة السالفة أن الحذف يقوم بدور معين في اتساق النص، وإن كان هذا الدور مختلفا من حيث الكيف عن الاتساق والاستبدال أو الإحالة، فالمظهر البارز الذي يجعل الحذف مختلفا عنهما هو عدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص.[1]

4.1 الوصل:

يعد الوصل علاقة اتساق أساسية في النص، وذلك لأنه يعمل على تقوية الأسباب الرابطة بين الجمل وجعلها متماسكة، وهو مختلف عن كل أنواع علاقات الاتساق السابقة، كالإحالة والاستبدال والحذف، لأنه لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو ما سيلحق. يعرفه "هاليداي" و"رقية حسن" "الوصل تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم"[2]

فرع "هاليداي" و"رقية حسن" هذا المظهر إلى إضافي وعكسي وسببي وزمني.

1. **الوصل الإضافي:** يتم بواسطة الأداتين "و" و "أو" وتندرج ضمن المقولة العامة للوصل الإضافي علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل...، وعلاقة الشرح، وتتم بتعابير مثل: أعني، بتعبير آخر... وعلاقة التمثيل، المتجسدة في تعابير مثل: مثلا، نحو...

[1] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص22، (بتصرف).

[2] المرجع نفسه، ص23.

2. **الوصل العكسي**: يتم بواسطة أدوات مثل (but, yet) وغيرها، وبتعابير مثل (however, nevertheless) إلا أن الأداة التي تعبر عن الوصل العكسي في نظر الباحثين هي yet

3. **أما الوصل السببي**: فيمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، ويعبر عنه بعناصر مثل (Therefore, hence, thus, so) وتندرج ضمنه علاقات خاصة كالنتيجة والسبب والشرط... وهي علاقات منطقية ذات علاقة وثيقة بعلاقة عامة هي السبب والنتيجة.

4. **يجسد الوصل الزمني**: كآخر نوع من أنواع الوصل، علاقة بين جملتين متتابعتين زمنيا وابسط تعبير عن هذه العلاقة هو then.

إذا كانت وظيفة هذه الأنواع المختلفة من الوصل متماثلة، فإن معانيها داخل النص مختلفة، فقد يعني الوصل تارة معلومات مضافة إلى معلومات سابقة أو معلومات مغايرة للسابقة أو معلومات (نتيجة) مترتبة عن السابقة (سبب) إلى غير ذلك من المعاني، ولأن وظيفة الوصل تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة فإنه لا محالة يعتبر علاقة اتساق أساسية هي النص.[1]

مما سبق ذكره يمكن أن نمثل للأدوات الاتساق السابقة بالشكل الآتي:

[1] المرجع السابق، ص24، (بتصرف).

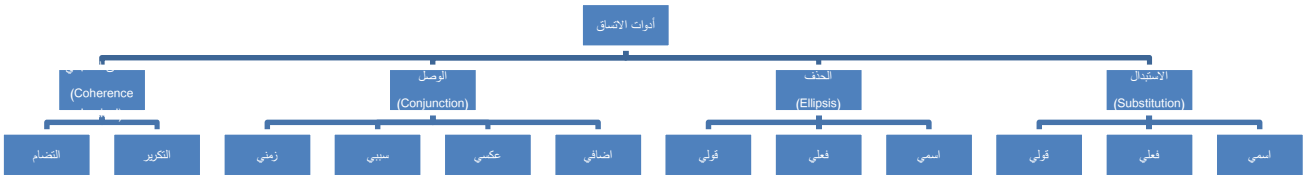

5.1 الاتساق المعجمي:

يعتبر الاتساق المعجمي آخر مظهر اتساقي لتحقيق تلاحم النص، إلا أنه يختلف عنهما جميعا، إذ لا يمكن الحديث في هذا المظهر عن العنصر المفترِض والمفترَض كما هو الأمر سابقا، ولا عن وسيلة تشكيل (نحوية) للربط بين عناصر النص.[1]

فالاتساق المعجمي ينقسم إلى قسمين: الاتساق المعجمي التكراري والاتساق المعجمي التضامي.

أولا: الاتساق المعجمي التكراري:

يعد التكرار من الظواهر التي تتسم بها اللغات عامة، واللغة العربية خاصة. ولا يتحقق التكرار على مستوى واحد، بل على مستويات متعددة، مثل تكرار الحروف، والكلمات، والعبارات، والجمل، والفقرات، والقصص أو المواقف كما هو في واقع القرآن الكريم، والتكرار

[1] المرجع السابق، ص24، (بتصرف).

هو إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو ما يرافده لتحقيق التماسك النصي بين عناصر النص.[1]

والتكرار هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصر مطلقا أو اسما عاما.[2] ومن هنا نستخلص بأن تكرار المعاني في النص يسهم في تحقيق اتساقه.

فالتكرار أثر بارز في النص فهو يؤكد معناه ويجذب انتباه المتلقي ويؤثر فيه، يرى "محمود عكاشة" بأن " التكرار من أشهر أساليب تأكيد المعنى في العربية، وذلك لسهولة العمل به وأثره في النفس، ولعدم وقوع الالتباس فيه، يعد من الروابط اللفظية لتكرار لفظه، وتكرار اللفظ في عناصر الربط فالضمير ينوب عن اللفظ، فينبغي عن تكراره والاشارة تحيل إليه في اللفظ أو تحيل إلى عينه من العالم الخارجي."[3] أي أنه وسيلة لإيضاح تماسك النص.

يطلق البعض على هذه الوسيلة بالإحالة التكرارية فهي تتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الالفاظ في بداية كل جملة من الجمل النص قصد التأكيد، وهذا التكرار يضع ترابط بين أجزاء النص بشكل واضح[4] فالتكرار يقصد به تكرار نفس الكلمات أو تكرار التعبيرات، فهو وسيلة لإيضاح تماسك النص، يسهم في تحقيق اتساقه، كما أنه يستخدم لتأكيد رأي ما، أو وصف... الخ.

---

[1] ينظر، صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص17 – 22.

[2] محمد خطابي، المرجع السابق، ص25.

[3] محمود عكاشة، دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، مكتبة الرشد، ط1، 1435هـ / 2014م، ص318.

[4] أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط1، 2001م، ص106.

تتنوع صور الروابط التكرارية فيما يلي[1]:

1. **التكرار المحض**: ويقصد به (التكرار الكلي) وهو نوعان:

أ. **التكرار مع وحدة المرجع** (أي يكون المسمى واحد): ومثال ذلك قوله تعإلى «فوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ»[2] نلاحظ أن كلمة الويل تكررت مرتين، وهي دلالة وحدة.

ب. **التكرار مع اختلاف المرجع** (أي المسمى متعدد): ويقصد هنا أن اللفظة واحدة إلا أن دلالتها تختلف من معنى إلى آخر.

2. **التكرار الجزئي**: فينبغي تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال مختلفة كما في نص نازك الملائكة: ثَورَةٌ تَحتَ عَصْفِهَا رَقَدَ الكَونُ عَمِيقَ الأَسَى كَجُرحٍ عَمِيقْ.

3. **التكرار بالمرادف**: وهو على نوعين:

أ. **المرادف دلالة وجرس**: وهو تكرار لكلمتين تحملان معنى واحد وتشتركان في بعض الأصوات والميزان الصرفي مثل: مجيد = أثيل، يستره = يحجبه والمقصود بالمرادف دلالة: أن تأتي بمرادف الكلمة (اللفظة).

ب. **الترادف دلالة لا غير**: مثل: الحزن = الهموم، مذموم = محتقر، السيف = المهند.

[1] المرجع نفسه، ص109، (بتصرف).

[2] سورة البقرة، الآية 79.

أما شبه التكرار فهو كما أشار الدكتور "سعد مصلوح" منذ قليل أقرب إلى التوهم، حيث تفتقد عناصره التكرار المحض، ويتحقق في مستوى الشكل الصوتي ليضع نوعاً من التماسك، وذلك كتكرار بعض الوحدات الصوتية[1].

ثانيا: التضام:

يعد التضام من وسائل التماسك النصي المعجمي، ولقد عرفه "محمد خطابي" بأنه "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لإرتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"[2] بمعنى أن كل زوج من الكلمات تربط بينهما علاقة إما بالترادف أو التضاد، أو التجاوز أو غيرها من العلاقات، وهذه العلاقات تساهم في عملية التضام، غير أن القارئ له دورا رئيسيا في ربط هذه الأشكال ببعضها البعض، "فالقارئ يتجاوز هذه الصعوبة بخلق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية معتمدا في ذلك على حدسه اللغوي وعلى معرفته بمعاني الكلمات."[3]

التضام هو علاقة خاصة تساهم في ترابط النص وتماسكه، علاقة تتم عبر توارد زوج من الكلمات تربط بعلاقة معجمية كالطباق، والجزئية والكلية، والعموم والخصوص، والترتيب والمجاورة، وغيرها من العلاقات التي يمكن تحديدها خلال قراءة النص قراءة واعية متأنية في مفرداته ووحداته وجمله.[4]

إن العلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب هي علاقة التعارض، مثلما هو الأمر في أزواج كلمات مثل: ولد، بنت، جلس، وقف، أحب، أكره... الخ، إضافة إلى علاقة التعارض هناك علاقات أخرى مثل: الكل من الجزء أو الجزء من الجزء، أو عناصر من نفس

[1] المرجع السابق، ص110 ، (بتصرف).
[2] محمد خطابي، مدخل الى انسجام الخطاب، ص25.
[3] المرجع نفسه، ص25
[4] مجلة الأثر، العدد 23، ديسمبر، 2015، ص220.

القسم العام: كرسي، طاولة (وهما عناصر من اسم عام هو التجهيز)[1] ومثال ذلك (ما لهذا الولد يتلوى في كل وقت وحين؟ البنات لا تتلوى) (فالولد والبنت) ليسا مترادفين، ومع ذلك فإن ورودهما يساهم في النصية والعلاقة التي تحكم هذه الأزواج هي علاقة التعارض.

2- آليات الانسجام:

يتحقق الانسجام في الخطاب الشعري بفضل تداخل مجموعة من الأليات والعلاقات التي تساعد على جعل النص بإعتباره ظاهرة لغوية كلا متماسكا ومتسقا، فالمتلقي المبدع له دور في الحكم على انسجام النصوص وترابطها، فالحديث عن آليات الانسجام، يقودنا إلى الحديث عن دور القارئ وجهده المبذول لربط أجزاء النص، ولعل أهم هذه الأليات هي: أليات، موضوع الخطاب، التغريض، المناسبة، فوجود هذه المبادئ تساهم في تحقيق الانسجام.

1.2 السياق:

يختص مفهوم السياق بأنه "إعادة بناء نظري لعدد من ملامح السياق، تلك الملامح التي تشكل جزءاً من القيود، التي تجعل المنطوقات، بوصفها أحداثا كلامية"[2] فهو يعد الجوهر الأساسي في تحقيق انسجام النص، ويوضح ما كان ملتبسا في النص، ويحدد أغراضه ومقاصده بدقة.

للسياق دوراً بارزاً في فهم النص، لذلك نجد العالم اللغوي "فيرث" الذي يرى "أن كلمة تستخدم في سياق جديد تعد كلمة جديدة، فلكل رسالة مرجع تحيل إليه وسياق مضبوط قيلت فيه، ولا يمكن فهمها إلا بالإحالة إلى الملابسات التي قيلت فيها".[3]

---

[1] محمد خطابي، المرجع السابق، ص25.

[2] فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001م، ص 135.

[3] فان دايك، النص والسياق، تر : عبد القادر قنيني، إفريقيا، الشرق، 2000، ص 61.

"تعتبر نظرية السياق واحدة من نتائج البحث الدلالي، فعندما تدرس أحوال اللفظ ومادته اللغوية يكون ذلك بمثابة تمهيد لإعطاء هذه اللفظ بعده في النص، أو بعبارة أخرى يمثل السياق دراسة الوحدة اللغوية في الواقع العلمي وهي خطوة تمهيدية في المنهج التحليلي للخطاب".[1]

"إن السياق يكتسب دورا رئيسا في تحقيق ظاهرة الانسجام، فالسياق يجعل القول الواحد متى ظهر في مقامين مختلفين ذا تأويلين مختلفين، وهذا ما يحتم الاعتداد بدور السياق في تحقيق انسجام الخطاب".[2] فالسياق يساعد القارئ على تلمس المعاني المنبثة داخل النص، فهو القادر على منح اللفظة معنى محدداً، والسياق هو الذي يميز النص عن غيره من الكلام العادي، وذلك من خلال الوحدة والتماسك، فهو يربط بين أجزاء النص عن تراكيب اللغة، أو عن طريق السياق الخارجي للنص.

لقد ذهب "هايمس" إلى أن للسياق خصائص تمثلت في:

- **المرسل**: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.
- **المتلقي**: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى هذا القول.
- **الحضور**: وهم المستمعون الأخرون.
- **الموضوع**: وهو مدار الحدث الكلامي.
- **المقام**: وهو مكان وزمان الحدث التواصلي.

[1] المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى، أكاديمية الفكر الجماهيري، ط1، 2011، ص14.
[2] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، مكتبة الأدب العربي، ط1، 2001، ص 159.

❖ **القناة:** طريقة التواصل بين المشاركين في الحدث، أي كيف تم التواصل بين المشاركين كلاما أو كتابة.

❖ **شكل الرسالة:** الشكل المقصود.

❖ **المفتاح:** ويتضمن التقويم.

❖ **العرض:** وهو ما يقصده المشاركون، وينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي.[1]

"فهايمس" من خلال عرضه لخصائص السياق يشير إلى أن محلل الخطاب ينبغي عليه أن يختار الخصائص الضرورية لوصف حدث تواصلي.

يقول "محمد خطابي" "أن الخطاب القابل لفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياق، بالمعنى المحدد سلفا، إذ كثيراً ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية (من حيث لغته) ولكنه قد يتضمن قرائن (ضمائر أو ضرفا) تجعله غامضا غير مفهوم بدون الإحاطة بسياقه، ومن ثم فإن للسياق دورا فعالاً في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس. وما كان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه".[2]

"إن تحديد مفهوم السياق يحكمه بعدان: بعد داخلي وبعد خارجي، "فالبعد الداخلي يتعلق باللغة وتراكيبها من حيث موقع الكلمة بين أخواتها والهيئة التي ائتلفت فيها الكلمات مع بعضها ومكان هذه الائتلافات والتراكيب من الموضوع الجامع لها، بعبارة أخرى هو طريقة تيسيق الكلمة المفردة داخل الجملة، وتيسيق الجملة مع الجمل الأخرى، وتيسيق هذه الجمل داخل الإطار الكلي للنص... والبعد الخارجي يتمثل في الظروف والخلفيات المحيطة بالنص سواء منها ما يتصل بالمخاطب أو المخاطب. وكذلك البيئة الزمانية والمكانية النابع منها النص.

[1] محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص52- 53.

[2] المرجع نفسه، ص56.

وكذلك يشمل الأسس الفكرية والحياتية وهو يشمل جمل الملابسات والاحوال والظروف القائمة في الإطار الزماني والمكاني لعملية التخاطب."[1] فمعنى هذا أن السياق الداخلي يتعلق بتراكيب اللغة والفاظها، أما السياق الخارجي فيتمثل في الظواهر شبه اللغوية.

"السياق بمعنى مجموع العناصر الخارجية (غير اللغوية) التي تساعد في نقل المعلومة، أو التنشيط التفاعلي، ضمن مفهوم التعاون بين المرسل والمتلقي".[2]

يذهب "براون" و"يول"، كإطار عام، إلى أن محلل الخطاب ينبغي بعين الإعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب (والسياق لديهما يتشكل من المتكلم والمستمع القارئ، والزمان والمكان) لأنه يؤدي دوراً فعالاً في تأويل الخطاب، بل كثيراً ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين.[3] بمعنى أن هناك كثيراً من الأقوال والأفعال تؤول تأويلات مختلفة إذا اختلف سياق كل قول عن الآخر، حتى لو تطابقت هذه الأقوال في اللفظ، فمحلل الخطاب عليه أن يراعي هذه الخصائص.

يمكن تقسيم السياق إلى أربعة اقسام هي: السياق اللغوي، السياق العاطفي، السياق الثقافي، سياق الموقف.

1. **السياق اللغوي:** هو حصيلة استعمال الكلة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصاً محدداً، فالسياق اللغوي يوضح كثيرا من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياساً لبيان الترادف أو الاشتراك أو العموم أو الخصوص أو الفروق.

[1] المهدي إبراهيم الغويل، السياق واثره في المعنى، ص14 – 15.

[2] د. عمر بوحزمة، نحو النص (نقد النظرية، وبناء أخرى)، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، 2004، ص91 – 92.

[3] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص52.

مثال: عندما ترد كلمة (عين) في العربية، وهي من المشترك في سياقات لغوية متعددة يتبين للدارس ما تحمله من معان مختلفة باختلاف كل سياق ترد فيه.[1]

هعفقولنا: – عين الطفل تؤلمه ⟵ العين هي الباصرة.

– في الجبل عين جارية ⟵ العين عين الماء.

– هذا عين للعدوّ ⟵ العين هنا الجاسوس.

نلاحظ أن كلمة عين وردت في عدة معانٍ مختلفة إلا أنها لفظة واحدة، وذلك باختلاف السياق الذي وردت فيه.

2. **السياق العاطفي:** هو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية، ودلالتها العاطفية، ويحدد السياق العاطفي أيضا درجة الانفعال قوةً وضعفاً، إذ تنتقى الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية حين الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال.

مثال: إن المتكلم الذي يكون في حالة من الشعور الجامح يغلو في استعمال كلمات قد لا يقصد هو نفسه معناها الحقيقي، فالمتكلم الذي يكون في مثل هذه الحالة يستعمل كلمات من نحو:

القتل، الاحتقار، الذبح، الاستكراه الشديد، دون أن يقصد دلالتها الموضوعية.[2]

3. **السياق الثقافي:** يظهر السياق الثقافي في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدد، ويحدد السياق الثقافي في الدلالة المقصودة من الكلمة التي تستخدم استخداماً عاماً.

[1] أحمد محمد قدور، مبادئ في اللسانيات، دار الفكر، برامكة، ط3، 2008م، ص355

[2] المرجع السابق، ص356

مثال: استعمال كلمة (الصرف) لدى دارسي العربية وطلابها يعني مباشرة أن المقصود هو علم الصرف الذي تعرف به أحوال الكلمة العربية من اشتقاقات وتغيير وزيادة في حين دارسي الهندسة وطلابها يحددون دلالة (الصرف) عندهم بأنها مصطلح علمي يشير إلى عمليات التخلص من المياه بأي وسيلة.[1]

فهناك العديد من الكلمات لها إرتباط وثيق بالثقافة، فالكلمات تحمل وضعيات ثقافية معينة، فالسياق الثقافي يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة.

4. **سياق الموقف:** يدل سياق الموقف على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام. لقد عبر عنه البلاغيون بمصطلح المقام. "فمراعاة المقام تجعل المتكلم يعدل عن استعمال الكلمات التي تنطبق على الحالة التي يصادفها خوفاً أو تأدباً. بل قد يظهر المتكلم إلى العدول عن الاستعمال الحقيقي للكلمات. فيلجأ إلى التلميح دون التصريح. وكما كان الكلام مواقفاً ظروف المقام كان مقبولاً ومستحسناً في ظرفه وحينه. وليس مهما أن يختار المتكلم لذلك الكلمات ذات الدلالة الموضوعية الدقيقة التي ربما تكون غير مقبولة، إنما المهم هو وجود المناسبة بين الكلام والموقف."[2]

"إن محلل الخطاب بإيجاز يعالج مادته اللغوية بوصفها مدونة (نص) لعملية حركية استعملت فيها اللغة كأداة تواصلية في سياق معين من قبل متكلم أو كاتب للتعبير عن معانٍ وتحقيق مقاصد (الخطاب)، وانطلاقا من هذه المادة، يسعى المحلل إلى وصف مظاهر الاطراد في

[1] المرجع السابق، ص359

[2] المرجع السابق، ص358.

الإحداثات اللغوية التي يستعملها الناس لإيصال تلك المعاني والمقاصد"[1] فعلى محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه الخطاب.

"تتضافر العلاقات التماسكية الدلالية والشكلية، مع السياق في تحقيق التماسك النصي للنص، فالنص يحتوي على علاقات داخلية وخارجية، مرتبطة بالسياق ونمثلها بالشكل الآتي"[2]:

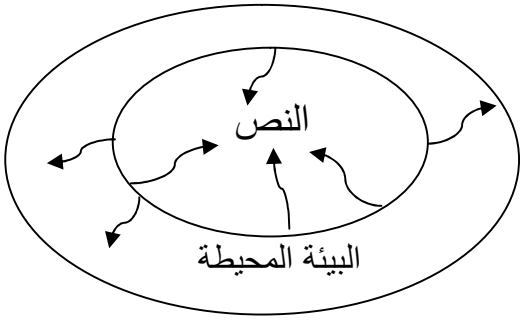

فالنص يحتوي على علاقات داخلية وخارجية تحقق التماسك النصي، فهو واقع بين التأثير والتأثر من قبل البيئة المحيطة به.

"فبناءاً على ما سبق ذكره يمكن القور بأن جودة السياق وكفاءته في النص تتوقف على إمكانيات تجعله قادراً على استيعاب الأفكار والمشاعر، وهذه الإمكانيات توفر له من الخصوصيات ما يحقق به التمايز عن غيره من الكلام من حيث التفاوت في درجات الجودة"[3] ومن ثم فإن للسياق دورا فعالا في تواصلية الخطاب وفي تحقيق انسجامه.

[1] جورج بروان وجليان يول، تحليل الخطاب، ص33

[2] د. صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، دار قباء للنشر والتوزيع (القاهرة)، ط1، 2000م، ص107

[3] المهدي إبراهيم الغويل، السياق واثره في المعنى، ص18.

2.2 المناسبة:

تعد المناسبة من أهم العوامل التي تسهم في تحقيق التماسك النصي، فقد ذهب "محمد خطابي" إلى أن "المناسبة والتناسب بين الآية بحث عن علاقة آية بآية أخرى".[1]

ومن هنا نجد أن "إبراهيم الفقي" فصل في ذلك من خلال قوله "أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، في ليلة واحدة، ثم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نيف وعشرين سنة منسجماً، وهذا النزول مرة واحدة يوحي بتماسكه ووجود المناسبة بين الآيات من ناحية وبين السور من ناحية أخرى. ومن ثم فلا مكان للزعم بعدم الربط بين آياته وسوره"[2]

"فالمناسبة تقتضي وجود علاقة بين المتناسبين، قد تكون ظاهرة، وقد تكون غير ظاهرة فيبحث عن الدعامة، فالمناسبة توصل إلى العلاقة وهذه العلاقة بدورها تقتضي مرجعية من أحد المتناسبين إلى الآخر، وإذا تحققت هذه المرجعية، تحقق التماسك بينهما، ومن هنا تظهر العلاقة القائمة بين المناسبة والتماسك النصي، واسهامها في التحليل النصي"[3] بمعنى أن المناسبة تسهم في تحقيق الارتباط بين عناصر النص، فهي تبرز وظيفتها في تحقيقها للترابط والتماسك.

ذهب "ابن ابي الاصبع المصري" إلى تقسيم المناسبة إلى نوعين: مناسبة في المعاني ومناسبة في الألفاظ.

1. **المعنوية:** أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ.

[1] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص189.
[2] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، ج1، ص89.
[3] المرجع السابق، ص99.

2. **اللفظية:** فهي توحي الإتيان بكلمات متزنات، وهي على ضربين: تامة وغير تامة، فالتامة أن تكون الكلمات مع الإتزان مقفاة وأخرى ليست بمقفاة. وهي موضحة في الشكل الآتي: [1]

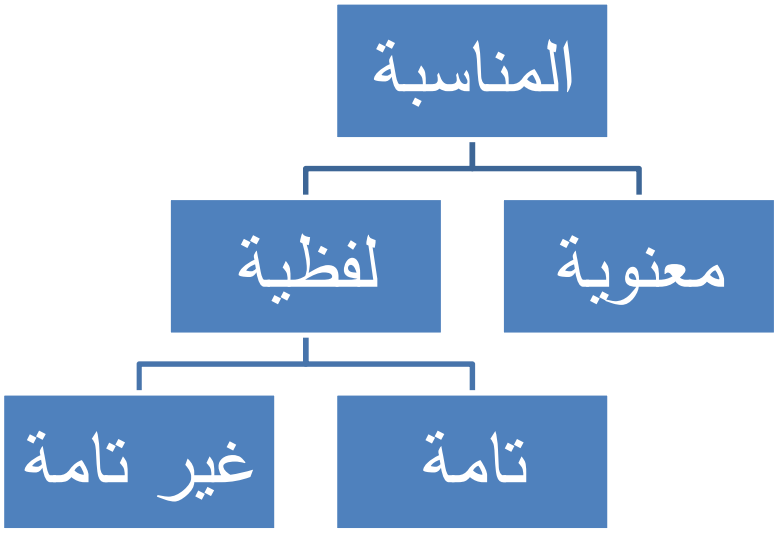

نستنتج من الشكل التالي أن المناسبة تنقسم إلى معنوية ولفظية، واللفظية تنقسم إلى تامة وناقصة، فالمناسبة تبحث في التماسك بين النصوص انسجامها وذلك بترابط وحداتها وأفكارها.

3.2 موضوع الخطاب:

"إن تحديد الموضوع على الأرجح تابع للفهم الكلي الذي يستخلصه القارئ المعين من النص. ذلك الفهم الكلي يحدده بشكل حاسم المقصد المخمن لدى أليات، أي القصد التواصلي الذي اتبعه المتكلم/الكاتب بنصه حسب رأي المتلقي."[2] فالموضوع هو البنية الكلية لمضمون النص فهو يحتوي على أفكار ومفاهيم تمس النص/الخطاب، بحيث أن المتلقي هو الذي يمكننا من الوصول إلى موضوع النص/الخطاب.

[1] المرجع السابق، ص92 – 93.

[2] كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ص85.

"المتلقي أصبح ركنا أساسيا من أركان التحليل النصي فهو القراءة الثانية للنص. ولهذا لم يغفل علماء اللغة هذا الدور للمتلقي، فالنص يعد حوارا قائما بين قائل النص والنص والمتلقي، بمعنى أن هناك عناصر للبنية الخطابية وهي قائل النص، والمتلقي، فالمتلقي هو الذي يحكم على النص بعد قراءته وفهمه".[1]

يعد موضوع الخطاب مركزا أساسيا تدور حوله الأقوال الخطابية التي تستمد منه عملية الإمتداد عبر كامل النص.

إذن مفهوم "الموضوع هو طريقة يستسيغها حدسنا اللغوي، وتمكننا من وصف ذلك المبدأ الجامع الذي يجعل من مقطع خطابي ما حديثا عن شيء ما."[2]

لقد نظر "محمد خطابي" إلى موضوع الخطاب، على "أنه ينظم ويصف الإخبار الدلالي للمتتاليات ككل، تلك هي وظيفة موضوع الخطاب الذي يعد بنية دلالية بواسطتها يوصف الخطاب، وبالتالي يعتبر أداة إجرائية حدسية بها تقارب البنية الكلية للخطاب".[3]

4.2 التغريض:

"إن مفهوم التغريض ذو علاقة وثيقة مع موضوع الخطاب ومع عنوان النص. تتجلى العلاقة بين العنوان وموضوع الخطاب في كون الأولى تعبيرا ممكنا عن الموضوع"[4] فالتغريض له علاقة وثيقة مع موضوع الخطاب وعنوانه، بحيث عندما نجد اسم شخص مذكور في العنوان نتوقع بأن هذا الشخص هو الموضوع المحدد.

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص110.

[2] براون ويول، تحليل الخطاب، ص85.

[3] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص42.

[4] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، ص297.

"فالتغريض كإجراء خطابي يطور، وينمي به عنصر معين في الخطاب. وقد يكون هذا العنصر اسم شخص أو قضية ما أو حادثة ... فالنسبة للطرق التي يتم بها التغريض فمتعددة نذكر منها: تكرير اسم الشخص، واستعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمانية".[1]

ذكر "محمد خطابي" في كتابه لسانيات النص "إن كرايمس بين التغريض والبناء الذي حدده على النحو التالي: كل قول، كل جملة، كل فقرة، كل حلقة، وكل خطاب منظم حول عنصر خاص يتخذ كنقطة بداية. فهوي يرى بأن مفهومي التغريض، البناء يتعلقان بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب واجزاءه وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، مع إختلاف فيما يعتبر نقطة بداية حسب تنوع الخطابات."[2]

بمعنى أن العنوان يشكل سمة مهمة فهو يمكن القارئ من الولوج إلى النص، وفهم الغموض وما يحتويه، فهو عبارة عن تلخيص لمحتوى النص.

كما نجد الباحثين "براون" و"يول" يعرفان التغريض "بأنه نقطة بداية قول ما."[3]

مبدأ التغريض يعني افتراض أن الجملة الأولى، في أي نص، لها الحظ الأوفر في التأثير بالجملة التالية، ذلك ان كل جملة، تفهم بناءً على معطيات الجملة التي قبلها، وحركة النص، حركة تراكمية خطية، لذا كانت الجملة الأولى، هي الأوفر حظا في التأثير، مما حدا بعض الدارسين، إلى عد العنوان، هو مفتاح العلاقات في النص، وموجه الفهم، لأنه يكون في البداية.[4] نفهم من هذا المعنى أن التغريض عنصر من عناصر تحقق الانسجام، فهو يمنح المتلقي

[1] المرجع نفسه، ص59

[2] المرجع السابق، ص59

[3] براون ويول، تحليل الخطاب، ص161.

[4] عمر أبو حزمة، نحو النص، نقد النظرية ...وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2004، ص92.

توقعات حول موضوع النص، فالعنوان وسيلة خاصة قوية للتغريض، وله وقع خاص على المتلقي اثناء قراءته فهو نقطة بداية لدارسة أي نص، كما له دور في تحليل عنوان الموضوع.

يتضح لنا من خلال هذا الموجز البسيط، إن أدوات التماسك النصي كثيرة ومتنوعة بين الخارجية والداخلية، وبين الدلالية والشكلية، فهي شرط ضروري في أي نتاج أدبي، فلكي يكون النص نصاً ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في جعل النص متناسقا ومنسجم، ومنه يذهب "هاريس" إلى "أن اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة بل في نص متماسك بدءاً من القول ذي الكلمة الواحدة إلى العمل ذي المجلدات العشرة"[1] فالنص يكتسب نصيته من خلال وجود تلك الأدوات.

"لذلك يصر اللسانيون على وحدة وتماسك النص، وبالتالي ينتفي عندهم الفصل بين مستويات التشكيل النصي، وهذا ما يمكن تسميته بالنظرة الكلية التي تقوم على مبدأ التماسك المتمثل في الخاصية الدلالية الجامعة للخطاب من أدلة إلى أخر بفضل جملة من الوسائل والأدوات، وعليه سيكون من مهام نحو النص دراسة الخواص التي تؤدي إلى تماسكه".[2] فلهذه الأدوات أثر فاعل في ربط النصوص وتماسكها فهي تسهم في نسيج النص.

[1] د. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسات معجمية)، جدار للكتاب العالمي، عمان الأردن، ط1، 2003، ص34.

[2] المرجع نفسه، ص30.

المبحث الثالث: الفرق بين الاتساق والانسجام.

يمكن التميز بين الاتساق والانسجام، "فالأول يرتبط بالروابط اللغوية التركيبة الظاهرة مثل: أسماء الإشارة وحروف العطف، والأسماء الموصولة، والتكرار... في حين يستند الانسجام إلى مجموعة من العمليات الضمنية الخفية التي تسعف المتلقي في قراءة النص وبناء انسجامه مثل: التغريض، السياق، موضوع الخطاب"[1]...، فالمتلقي هو الذي يحكم على نص ما بأنه منسجم وذلك انطلاقاً من معيار القراءة، وتفكيك العلاقات الداخلية للنص.

الانسجام مفهوم عام، بينما الاتساق مفهوم خاص، بحيث يرى "محمد خطابي" "أن الانسجام أعم من الاتساق، كما أنه يغدوا أعمق منه بحيث يتطلب بناء الانسجام من المتلقي صرف الإهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده، بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق، إلى الكامن (الانسجام) ومن ثم وتأسيسا على هذا التمايز، تصبح بعض المفاهيم، مثل موضوع الخطاب والبنية الكلية والمعرفة الخلفية بمختلف مفاهيمها، حشو إن أردنا توظيفها في مستوى اتساق النص/الخطاب، والعكس صحيح، أي إن الوسائل التي يتجلى بها اتساق النص عاجزة عن مقاربة (بناء) موضوع الخطاب، والبنية الكلية ... لمعطى لغوي."[2]

يذهب بعض الباحثين إلى أن انسجام الخطاب ليس شيء معطى، وإنما هو شيء يبنى، أي إنه ليس هناك نص منسجم في ذاته بالاستقلال عن المتلقي، فالمتلقي هو الذي يحكم على نص ما بأنه منسجم وعلى آخر بأنه غير منسجم، فالخطاب يستمد انسجامه من فهم وتأويل المتلقي، فهو لا يملك مقومات انسجامه، بل القارئ هو من يسند اليه هذه المقومات، فكل نص قابل للتأويل والفهم هو نص منسجم.

[1] د. جميل الحمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص76.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص5 – 6.

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية: (الخمرة الإلهية) "لابن الفارض" ،نموذجاً

المبحث الأول: حياته وشعره.

المبحث الثاني: الاتساق في القصيدة

المبحث الثالث: الانسجام في القصيدة.

المبحث الأول: الشاعر "ابن الفارض".

1. حياته:

هو أبو حفص عمر ابن ابي على الحموي الأصل مصري، ولد في القاهرة سنة 576هـ، وتوفي سنة 633هـ، الملقب بشرف الدين بن الفارض شاعر صوفي لقب بسلطان العاشقين، عرف بابن الفارض، واعترف له بأنه اشعر المتصوفين.

نشأ في محيط علم وتقي وورع، ومال منذ حداثته إلى التدين والتلذذ بالانفراد للعبادة والتأمل والتجريد الروحي، وذهب إلى الأماكن المقدسة لينمي اشواقه القدسية. وهناك نظم صوفياته المعروفة.

ولقد ميز حياته مرحلتان:

المرحلة الأولى:

نشأ في مصر (القاهرة) في عزة واحترام بالنظر إلى مرتبة والده في الحكم والقضاء، بالإضافة إلى ما كان يحظى به من احترام وتبجيل من طرف الناس الذين يزورونه، وخاصة زيارة ملك البلاد (الملك كامل) وما تمثله من مكانية راقية كان يتمتع بها ابن الفارض، بالإضافة أيضا إلى المستوى المعيشي الذي كان يحظى به فقد كان يقين بجامع الأزهر وكان سخياً جواداً وكان له الجواري، وهذا كله يدل على أن ابن الفارض كان غنيا وذا مكانة مرموقة في مجتمعه. أما فيما يخص البيئة التي نشأ فيها "ابن الفارض" فهي بيئة الخصب والنماء ذات الهواء العليل القريبة من البحر، وهي بيئة ساحرة بمناظرها الطبيعية خصوصا منطقته الخاصة (المشتصى) الذي كان يتأمل فيها منظر البحر وغروب الشمس في المساء.[1]

[1] ابن الفارض (ابو حفص عمر بن ابي الحسن)، الديوان اعتنى به وشرحه هيثم هلال، لبنان: بيروت، دار المعرفة، ط1، 2003، ص119.

المرحلة الثانية:

تتمثل في قضاء الشاعرابن الفارض خمسة عشر (15) عاماً من حياته في البيئة الحجازية نظم فيها شعره، وهي بيئة صحراوية حارة وجرداء ومقفرة ذات وديان وكثبان وملية كثيرة تكاد تنعدم فيها الحياة أو على الأقل الحياة فيها صعبة.

أبرز ما ميز حياته:

- ❖ شدة تأثره بالجمال، كائناً ما كان في الأصوات والأشكال والمعاني.
- ❖ ميله النفسي إلى الخلوة والتقشف، وحبه التأمل في الطبيعة والبعد عن الناس وزحامهم.
- ❖ صدقه وزهده، والترفع عن حطام الدنيا.[1]

خصائص أسلوبه:

- ❖ سلك مسلكاً رمزيا. (أول من أخذ الأسلوب الرمزي).
- ❖ تناول المعاني الروحية المجردة عن طريق الصور المحسوسة.
- ❖ انتقاء الألفاظ العذبة.
- ❖ يحسن انتقاء المعاني الظاهرة للتعبير عن المقاصد الباطنية.

[1] قليل يوسف، رمزية الصورة الفنية في شعر ابن الفارض، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي، 2017/2016، ص180.

2. ديوانه:

لابن الفارض مجموعة شعر مشهورة، نالت من الرواج ما لم تنله مجموعة أخرى، وهي تكاد تطرق موضوعاً واحداً لا تخرج عنه، هو هذا الغزل الروحي الذي جعل صاحبه مختصاً به، ودوافع هذا الغزل صوفية الشاعر "والصوفية هي مجاهدة شخصية لتطهير القلب من الأردان، والانفراد بذكر الله توصلاً إلى الحصول على الإلهام النوراني، أو الاتحاد الكامل بالله" وأكثر ما يظهر التصوف في البيئة التي تصاب بالانحلال الخلقي والديني، فتنطوي النفوس الصافية على نفسها، فترى العالم في نفسها، وترى نفسها وحدها في العالم.[1]

الصوفية تبحث دائماً عن الباطن ولا يعولون كثيراً على المباشرة لأنها لا تؤدي إلى معرفة حقيقية، ولا إلى تعبير شعري يرضي حاجاتهم، ويقود إلى معانٍ أخرى يتحملها اللفظ بالتفسير والتأويل مما يجعل القارئ يغوص في داخل الصورة وما وراءها لاستكشاف أمور بما لا تخطر للشاعر على بال من أجل ذلك كله جرت الرمزية وراء التعبير مما لا يقع تحت الحس. واتجهت وجهة صوفية نفسية، آمنت بعالم وراء العالم الحسي تحاول ان تعيش فيه، وان تستمد موضوعاتها منه، لأنه هو العالم الجميل الأبدي الدائم.

فالصوفية إرادة استغلال هذه الناحية، وكيف لا تريد أن تقارن بين غيبوبة السكر، والغيبوبة الروحية التي يفرضها ذهول الزاهد في زهده، فكان لها عالم باطني آخر تذكر فيه وتحمد مجالسه، وكان من السكر والصحو معانٍ مجردة يعولُ عليها أهل التصوف.

والشعر الصوفي هو شعر الرمز يعبر فيه الشاعر عن تجربته الذاتية.

[1] قليل يوسف، المرجع السابق، ص 182.

في طليعة شعراء الصوفية "ابن الفارض" الذي جعل من شعره أغاني روحية رفيعة تهدف إلى نجوى الله، وتتعلق بذات الله، فالمدامة التي يصفها ليست بالمدامة الحقيقة وإنما مدامة ترمز إلى محبة الله التي يسكر بها العارفون والمحبون.

المبحث الثاني: الاستاق في قصيدة "ابن الفارض".

يعد الاتساق جانب مهم في دراسة القصيدة لذلك كان الهدف من هذه الدراسة هو استخراج الأدوات التي ساعدت على اتساق القصيدة. فالأمر الذي تسعى إليه هو الكشف عنها، لأنها تعتبر معيار يستند إليه للحكم على نص ما بالاتساق فكل آلية من آليات الاتساق مختلفة عن الأخرى في علاقتها مع القصيدة، إلا أنها تؤدي دور لغوي يعد الأساس في تكوين النص.

وهذا ما سنحاول الوقوف عليه في قصيدة الخمرة الإلهية "لابن الفارض".

1. الإحالة:

سبق وذكرنا أن الإحالة النصية تضم الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة وهذا ما سنحاول البحث عنه في هذه القصيدة.

1.1 الضمائر:

تعد الضمائر من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي للنص، فعندما ندرس قصيدة ابن الفارض تصادفنا مجموعة من الضمائر في هذه الأسطر الشعرية، وجميعها تحيل إلى عناصر خارج مقام القصيدة وتشكل إشارة نوعية:

ففي قصيدة الخمرة الإلهية نجد حضور ضمائر الغائب بكثرة (68 مدة) وهي بذلك أسهمت إلى حد كبير في تماسكها وتمثلت في الضمير المنفصل (هي) والضمائر المتصلة والمتمثلة في (الهاء، هم، ووأو الجماعة) وتختلف إحالة كل ضمير عن الآخر.

ومن النماذج الدالة على ذلك:

شربنا على ذكرِ الحبيبِ مدامـــة سَكِرْنا بها، من قبلِ أن يُخلق الكَرمُ
لها البدرُ كأسٌ وهيَ شمسٌ يديرها هِلالٌ، وكم يبدو إذا مُزِجَتْ نَجـــمُ[1]

فهنا ضمير الغائب المنفصل (هي) يعود على المدامة التي غمرت الوجود كله، فهي كالشمس في نورها والبدر كالكأس لها. والهلال يدير على الشاربين، هذه الكأس، وأراد الشاعر هنا بالمدامة المعرفة الإلهية التي تفيض أنوارها في جميع الكائنات.

وأما الهلال الذي يديرها فهو من أصحاب هذه المعرفة والنجوم أتباع هذا الهلال الذي تدور معه حيث يدور. فهي إحالة قبلية.

يعود ضمير الغائب المتصل (ها) في (شذاها، لحاظها، سناها) في مرجعه وإحالته القبلية على "المدامة" وهنا يقصد بالمدامة الخمرة فهي رمزية تشير إلى المعرفة الإلهية الصافية.

ولولا شذاها ما اهتديتُ لحاظهـــا ولو لا سناها ما تصوَّرها الوهـــمُ
ولم يُبْقِ مِنها الدَّهْرُ غيرَ حُشاشَةٍ كأنَّ خَفاها، في صُدورِ النُّهى كَتْمُ[2]

وكذلك:

ولو نالَ فَدْمُ القَوْمِ لَثْمَ فِدامِهـــا، لَأكسَبَهُ مَعنى شَمائِلِها اللّثـــــمُ
يقولونَ لي صفها فأنتَ بوصفها خَبيرٌ، أجَلْ! عِندي بأوصافِها عِلْمُ[3]

[1] ابن الفارض (ابو حفص عمر بن ابي الحسن)، الديوان اعتنى به وشرحه هيثم هلال، لبنان: بيروت، دار المعرفة، ط1، 2003، ص121.
[2] المصدر نفسه، ص121.
[3] المصدر السابق، ص122.

وكذلك:

ولا قبلها قبلٌ ولا بعـــدَ بعدهـــــا وقبليَّةُ الأبعادِ فهيَ لها حتـــمُ
وعَصْرُ المِدى منْ قَبْلِهِ كان عصْرها، وعهدُ أبينا بعدها ولها اليتـــمُ
محاسِنُ، تَهْدي المادِحينِ لِوَصْفِهـــا، فَيَحسُنُ فيها مِنهمُ النَّثرُ والنّظمُ[1]

الضمير هم: في (لأسكرهم، منهم، لكنهم) يحيل قبلياً إلى متقدم وهو القوم وهؤلاء القوم الذين يتحدث عنهم الشاعر ويقصدهم هم المولعون بهذه المدامة.

ومثال ذلك: البيت الثامن (08)

ولو نَظَرَ النُّدمانُ ختْمَ إنائِها، لأسكرهمْ منْ دونها ذلكَ الختمُ[2]

والبيت الواحد والثلاثين (31)

محاسِنُ، تَهْدي المادِحينِ لِوَصْفِها، فَيَحسُنُ فيها مِنهمُ النَّثرُ والنّظمُ[3]

كما يظهر ضمير آخر وهو وأو الجماعة الذي تبدوا احالته مبهمة نوعا ما فالشاعر لا يذكر نوع الأشخاص الذين يتكلم عنهم.

وقالوا شربتَ الإثمَ كلاً وإنَّمـــا شَرِبتُ التي، في تَرْكِها، عندي الإثمُ
هنيئاً لأهلِ الديرِ كمْ سكروا بها وما شربوا منها ولكنَّهمْ همُّـــــوا[4]

2.1 ضمائر المخاطب:

امتازت القصيدة بقلة ضمائر المخاطب وتمثلت بشكل خاص في الضمير المتصل (ك) الذي تكرر في القصيدة 3 مرات فهو يحيل إلى الذي ضاع عمره ولم يطع الله.

[1] المصدر نفسه، ص122
[2] المصدر نفسه، ص121 – 122.
[3] المصدر نفسه، ص122 – 123.
[4] المصدر السابق، ص122 – 123.

نستنتج أن الشاعر في قصيدته وظف الضمائر المتصل والمنفصلة والتي تمثلت في ضمائر المخاطب والغائب، فلعبت بذلك دور هاما في اتساق القصيدة.

فمن خلال تتبعنا للعلاقات الإحالية التي وظفت في القصيدة يتضح لنا أنها كانت متنوعة ما بين المخاطب والغائب، مما نتج عنها تماسك في الخطاب واتساق بين أبنيته النصية، فهنا الإحالة كانت كفيلة بخلق ترابط كثير من جزئياته، لأنها تحيل إلى الملفوظ داخل النص، ومن ثم فإنها ساهمت في اتساقه، ولعل تعقب هذا النص الشعري اعطى مؤشرا واضحا لمدى أهمية الإحالة النصية في صنع الاتساق داخل فضاء القصيدة، فجل أبياتها احتوت على الإحالة.

3.1 أسماء الإشارة:

إن أسماء الإشارة من آليات الإحالة، فهي تقوم بربط أجزاء الكلام وتسهم في اتساقية النصوص، وهي تصنف حسب الظرفية الزمانية (الآن، غداً)، أو المكانية (هنا، هناك)، أو حسب الحياد أو الانتقاء (هذا، هؤلاء)، أو حسب البعد (ذاك، تلك)، والقرب (هذه، هذا).

وإذ ما بحثنا في حقل أسماء الإشارة الموجود في قصيدة الخمرة الإلهية وجدناها تمثلت في (ذلك وهناك).

ومثال ذلك في البيت 8، 17 و23.

البيت الثامن:

ولو نَظَرَ النُّدمانُ ختْمَ إنائِها، لأسكرهمْ منْ دونها ذلكَ الختمُ[1]

[1] المصدر السابق، ص121 – 122.

والبيت السابع عشر:

وفوقَ لِواء الجيشِ لو رُقِمَ اسمُها، لأسكرَ منْ تحتَ الّلوا ذلكَ الرَّقمُ[1]

وكذلك البيت الحادي والعشرين:

تقدَّمَ كلَّ الكائناتِ حديثها قديماً، ولا شَكلٌ هناكَ، ولا رَسْمُ[2]

بما أن البناء النصي في قصيدة الخمرة الإلهية امتاز بقلة هذه الأداة، فهذا يدفعنا إلى أن نؤكد أنها لم تسهم في اتساق القصيدة لأنها لم تكن حاضرة بصورة كثيفة.

2- الوصل:

يعتبر الوصل أحد وسائل الاتساق فهو يساهم في اتساق النص من خلال أدواته المختلفة ولقد كان لأدوات الوصل حضور بارز في النص وساهمت بصورة كبيرة في ترابط القصيدة.

ومن بين أدوات الربط التي وظفها الشاعر في قصيدته: الواو، الفاء، ثم. وكانت الواو أكثر حروف الربط ورودا في القصيدة حيث تكرر ذكرها (73 مرة) فساهم استعمالها بفعالة في بناء عناصر الخطاب بناءا متماسكاً، ويظهر ذلك من خلال ربط العناصر بعضها ببعض مما أدى إلى تشكيل شبكة متحدة من الأجزاء، ويمكن توضيح ذلك من خلال النماذج الواردة في قصيدة الخمرة الإلهية.

صفاءٌ، ولا ماءٌ، ولُطْفٌ، ولاهَواً، ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسمُ[3]

[1] المصدر نفسه، ص121 – 122.

[2] المصدر نفسه، ص122.

[3] المصدر السابق، ص122.

وكذلك:

ولا قبلها قبلٌ ولا بعدَ بعدها وقبليَّةُ الأبعادِ فهيَ لها حتمُ[1]

اعتمد الكاتب في هذين البيتين على حرف الواو بغرض البناء وجعل التركيب متماسك وكذلك في البيت التالي:

فخمرٌ ولا كرم وآدم لي أب وكرم ولا خمر دلي أمها أم.[2]

وقد ورد الربط بواسطة الفاء (9 مرات) ويمكننا توضيح ذلك من خلال بعض الأمثلة من القصيدة.

وقدْ وقَعَ التَّفريقُ، والكُلُّ واحِدٌ، فأرواحنا خمرٌ وأشباحنا كرمُ[3]

والبيت السابع والثلاثين (37):

فدونَكَها في الحانِ، واسْتَجلِها بهِ، على نغمِ الألحانِ فهيَ بها غنمُ[4]

والبيت الأربعين (40):

فلا عيشَ في الدُّنيا لمنْ عاشَ صاحياً ومنْ لمْ يمتْ سكراً بها فاتهُ الحزمُ[5]

وكذلك وظف "ثم" واستعملت للعطف ولقد جاءت قبلية.

وقامَتْ بِها الأشْياءُ، ثَمّ، لحِكْمَةٍ ، بها احتجبتْ عنْ كلِّ منْ لالهُ فهمُ[6]

---

[1] المصدر نفسه، ص122.

[2] المصدر نفسه، ص122.

[3] المصدر السابق، ص122.

[4] المصدر نفسه، ص123.

[5] المصدر نفسه، ص123.

[6] المصدر نفسه، ص122.

3- **الاستبدال:**

لا تتوفر القصيدة على عنصر الاستبدال. فهناك استبدال فعلي وحيد جاء في البيت الأول من القصيدة.

شربنا على ذكرِ الحبيبِ مدامةً سَكِرْنا بها، من قبلِ أن يُخلق الكَرمُ[1]

شربنا ← سكرنا ← استبدال فعلي.

4- **الحذف:**

القصيدة لا تتوفر على عنصر الحذف. بل نجد التكرار هو من أسهم في انسجام قصيدة الخمرة الإلهية.

5- **الاتساق المعجمي:**

أ- التكرار: يعتبر من المفاهيم الأساسية في معالجة النص، فلقد أصبح تقنية بارزة يستعملها شاعر ما ليؤكد ويبرز بعض الوقائع، وهذا ما سنلاحظه في هذه القصيدة، وقد مثل هذا النوع أداة واسعة الانتشار في القصيدة إما عن طريق تكرير مفردة أو عبارة.

وهذا ما سنحاول دراسته في هذه القصيدة، باعتبارها إحدى العناصر التي تسهم في تحقيق اتساق النص وتماسك أجزاءه، ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول التالي:

التكرار المحض	تكرارها
الحبيب	إثنان
نجم	/

[1] المصدر السابق، ص121.

الدهر	/
ذكرت	/
إثم	ثلاثة
الحقيقة	إثنان
الهم	/
الروح	/
الجسم	/
العزم	/
من لا له	ثلاثة
جرم	إثنان
كرم	ثلاثة
خمر	/
لطف	إثنان
المعاني	/
بعدها	/
نعم	/

شربت	/
ظلم	/
نغم	/

التكرار الجزئي	الأبيات الشعرية
شربنا / شربوا	واحد / أربعة وثلاثين
سكرنا/ لأسكرهم/ لأسكروا/ سكروا/ سكرنا	واحد/ ثمانية/ سبعة عشر/ أربعة وثلاثون/ أربعون
الكرم/ يكرم/ يكرمها	واحد/ عشرة/ تسعة عشر
كأس/ كأسها	إثنان/ ثلاثة عشر
ذكرت/ ذكري/ ذكرها	خمسة/إحدى عشر/ إثنان وثلاثين
خطرت/ خاطر	سبعة
كف/ كفه	ثلاثة عشر/ تسعة عشر
ركباً/ الركب	خمسة عشر
رسم/ الرسم	ستة عشر
رقم/ الرقم	سبعة عشر

لواء/ اللواء	/
يحلم/ حلم	تسعة عشر
فدم/ فدامها	عشرون
صفها/ بوصفها/ أوصافها/ لوصفها	واحد وعشرون/ واحد وثلاثون
روحي/ أرواحنا	خمسة وعشرون/ ثمانية وعشرون
قبلها/ قبل/ قبلية /قبله	تسعة وعشرون/ ثلاثون
بعد/ بعدها	تسعة وعشرون
مزجها/ فمازجت	خمسة وعشرون/ ستة وثلاثون
عيش/ عاش	أربعون

نستنتج أن التكرار يشكل ظاهرة لغوية في قصيدة الخمرة الإلهية، فهو يساهم في اتساق النص وترابطه، إذ حشد "ابن الفارض" في قصيدته مجموعة من المفردات والتي ساهمت في بناء قصيدته، فهي وسيلة من للإفهام والتأكد والإثبات.

ونلاحظ في هذه القصيدة ورود ألفاظ ذات تكرار تام وأخرى ذات تكرار جزئي وانتشرت المفردات عبر القصيدة لتربط بين أجزاءها ومقاطعها كما هو موضح في الجدول أعلاه.

مثال:

- 1 – 36: الحبيب وهو تكرار تام.

- 6 – 27: الحقيقة وهو تكرار تام.
- 26 – 28: كرم وهو تكرار تام.

التكرار الجزئي: كان للتكرار الجزئي حضوراً في القصيدة محققا بذلك الترابط بين أجزاء النص ومؤكدا ثوابت المفاهيم والأفكار. فتعددت الأنساق اللسانية ذات جذر معجمية واحدة من خلال الاشتقاق والفعل والمصدر.

مثال ذلك:

- 1 – 3: شربنا/ شربوا.
- 2 – 3: كأس/ كأسها.
- 7: خطرت/ خاطر.

كما نلاحظ في هذه القصيدة تكرار الصيغة "ولو" فهذه الصيغة أدت إلى الربط بين أبيات القصيدة:

ولو نَظَرَ النُّدمانُ ختْمَ إنائِهـــــا، لأسكرهمْ منْ دونها ذلكَ الختـــــمُ
ولو نَضَحوا مِنها ثَرى قَبْرِ مَيــتٍ، لعادَتْ إليهِ الرُّوحُ، وانْتَعَشَ الجسْمُر
ولو طرحوا في فيءِ حائطِ كرمهــا عليلاً وقدْ أشفى لفارقهُ السُّقـــــمُ
ولوْ قرَّبوا منْ حلها مقعداً مشـــى وتنطقُ منْ ذكري مذاقتها البكـــمُ
ولوْ خضبتْ منْ كأسها كفُّ لامسٍ لما ضلَّ في ليلٍ وفي يدهِ النَّجـــمُ
ولوْ جليتْ سرَّاً على أكمهٍ غـــــداً بصيراً ومنْ رأو وقها تسمعُ الصُّمُّ[1]

[1] المصدر السابق، ص121 – 122.

ب- التضام: التضام هو ذكر للكلمات التي لها علاقة بالكلمة الدالة سواء كانت هذه علاقة ترادف أو تضاد أو تقابل الكل من الجزء أو الجزء من الجزء ويمكن توضيح هذه الظاهرة في الجدول التالي:

الأبيات الشعرية	التضام
إثنان وعشرون	ماء/ نار
إثنا عشر	الشرق/ الغرب
تسعة وعشرون	قبل/ بعد
إحدى عشر/ أربعة عشر	الصم/ البكم
ثلاثة/ إثنين وعشرون	سناها/ نور

إن العلاقات المعجمية كعلاقة التضام تساهم في اتساق النص، فهي تضع تماسكا نصياً. كما في الأبيات 22/ 12:

ولوْ عبقتْ في الشَّرقِ أنفاسُ طيبها وفي الغربِ مزكومٌ لعادَ لهُ الشَّمُّ[1]

وكذلك:

صفاءٌ، ولا ماءٌ، ولُطْفٌ، ولاهَواً، ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسمُ[2]

[1] المصدر السابق، ص121 – 122.

[2] المصدر نفسه، ص122.

المبحث الثالث: أدوات الإنسجام في قصيدة "ابن الفارض".

إن الانسجام ينفتح على السياق ليعطي للقارئ الحرية في تأويل النص الذي بين يديه، فهو يعتبر طرف أساسي في عملية الخطاب، فالانسجام يشتغل على مستوى الظروف الخارجية التي أنتجت النص، فسبق وتطرقنا إلى هذه الآليات والآن سنقوم بدراستها على قصيدة الخمرة الإلهية واستخراج أدوات التي أسهمت في انسجام هذه القصيدة.

1- السياق:

يمثل السياق العمدة الأساسية في إنتاج نص ما وفهمها، فالمتكلم لا يستطيع أن ينشئ نصا إلا إذا توفرت فيه الشروط اللازمة، ولا يتلقى المتلقي نصا إلا إذا كان له علم بكافة هذه الظروف التي صنعت هذا النص.

والآن نبحث في قصيدة الخمرة الإلهة عن السياق التي وردت فيه (من خلال المتكلم، المرسل إليه، الرسالة).

1.1 المتكلم:

يعتبر المتكلم ذات محورية في إنتاج خطابه، فهو الذي يصدر كلاما من أجل التعبير عما يقصده، وبغرض تحقيقه لهدف معين، وبناء على ذلك فإن ابن الفارض جعل من شعره أغاني روحية رفيعة تهدف إلى نجوى الله، وتتعلق بذات الله، فالمدامة التي يصنعها ليست بالمدامة الحقيقة وإنما هي مدامة ترمز إلى محبة الله التي يسكر بها العارفون والمحبون وهذا ما جاء في قصيدة الخمرة الإلهية.

فالمتكلم هنا هو الشاعر ابن الفارض فهو يتحدث عن هذه المدامة في قوله:

شربنا على ذكرِ الحبيبِ مدامـــةً سَكِرْنا بها، من قبلِ أن يُخلق الكَرمُ
لها البدرُ كأسٌ وهيَ شمسٌ يديرها هِلالٌ، وكم يبدو إذا مُزِجَتْ نَجـــمُ
ولولا شذاها ما اهتديتُ لحانهـــا ولو لا سناها ما تصوَّرها الوهـــمُ
ولم يُبْقِ مِنها الدَّهْرُ غيرَ حُشاشَةٍ كأنَّ خَفاها، في صُدورِ النُّهى كَتْمُ[1]

فابن الفارض يرمز من خلال تعلقه بالحب إلى الحب الإلهي الذي نسبه إلى الله عز وجل إلى نفسه.

2.1 المرسل إليه:

يمثل المتلقي طرف آخر يوجه إليه الخطاب، وهنا المتلقي حاضر في ذهن المرسل (المتكلم) سواء كان حضورا عينيا أم استحضار ذهنيا.

يقول الشاعر:

وقالوا شربتَ الإثمَ كلاَّ وإنَّمـــا شَرِبتُ التي، في تَرْكِها، عندي الإثمُ
هنيئاً لأهلِ الديرِ كمْ سكروا بها وما شربوا منها ولكنَّهمْ همّـــــوا
وعنديَ منها نشوةٌ قبلَ نشأتـي معي أبداً تبقي وإنْ بلىَ العظـــمُ[2]

فالشاعر هنا يرد على متهميه بشر المدامة بـ "كلا" ويستمر في التحدي بـ (هنيئا لأهل الدير) وفي نفس الوقت أكد على نشوته من السكر، فابن الفارض يعيش في صراع، فهو تائه بين سكره وخائف من نفسه اللوامة، لهذا ظل يحاور نفسه ويلومها من خلال إسقاط هذا اللوم على آخرين مجهولين فالشاعر من خلال أبياته هذه يوجه خطابه إلى (مجهولين) فهذا الصراع بين الشاعر وبين مجهولين صراع نفسي داخلي.

[1] المصدر السابق، ص121.
[2] المصدر نفسه، ص 122 – 123.

3.1 الرسالة:

بما أن القصيدة خطاب شعري موجه من المرسل (المتكلم) إلى مرسل إليه (المتلقي) فإنها تحمل في طياتها رسالة: وهذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال هذه القصيدة.

إن قصيدة الخمرة الإلهية تناولت موضوع ضرورة المدامة على السكر. كما في الأبيات التالية:

عليكَ بها صرفاً وإنْ شئتَ مزجهـــــا فعدلكَ عنْ ظلمِ الحبيبِ هوَ الظُّلـمُ
فدونَكَها في الحانِ، واسْتَجلِها بـــــهِ، على نغمِ الألحانِ فهيَ بها عنـــمُ
فما سَكَنَتْ والهَمّ، يوماً، بِمَوضِـــــعٍ، كذلِكَ لم يَسكُنْ، معَ النّغْمِ، الغَـــمُّ
وفي سكرةٍ منها ولو عمرَ ساعـــــةً تَرى الدَّهْرَ عَبداً طائِعاً، ولَكَ الحُكْمُ
فلا عيشَ في الدُّنيا لمنْ عاشَ صاحياً ومنْ لمْ يمتْ سكراً بها فاتهُ الحزمُ
على نفسهِ فليبكِ منْ ضاعَ عمـــرهُ وليسَ لهُ فيها نصيبٌ ولا سهـــمُ[1]

ففي هذه الأبيات يبين "ابن الفارض" السكر ومزاياه (عليك، ان شئت، فدونكها، استجلها، فهي غنم، فما سكنت، والهم يوما، وفي سكرة، ترى الدهر عبدا طائعاً، ولك الحكم، فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحياً، من لم يمت سكرا بها فاته الحزم، فليبك من ضاع عمره) فالشاعر هنا يحاول تحدي متهميه، ومؤكد على قناعته وداعيا إياهم بنوع من السخرية على البكاء في قوله:

على نفسهِ فليبكِ منْ ضاعَ عمرهُ وليسَ لهُ فيها نصيبٌ ولا سهمُ[2]

فهم لم يفهمو حقيقة هذه المدامة، لأن رسالة ابن الفارض مفاهدها استمرار قناعته وعدم الالتفات إلى من خالفه الرأي، كما يحاول تجسيد مشاعره الرافضة لمعتقداته والداعية لنبذ التهتك.

[1] المصدر السابق، ص123.
[2] المصدر نفسه، ص123.

2- التغريض:

إن التغريض يتخذ من شكل العلاقات الدلالية القائمة بين أبيات القصيدة وعلاقتها بالعنوان.

فالعنوان يحمل جزءاً أساسيا من رسالة النص، فهو يمثل بؤرة النص ومفتاحه للدخول إلى النص، فالشاعر عندما يضع عنوانا لقصيدته يقصد دلالة وهدف معين، فحينما ننظر إلى عنوان "الخمرة الإلهية" "لابن الفارض" نجدها تتألف من كلمتين، تحمل في طياتها انسجاماً واضحاً، وما يلفت انتباهنا في هذه القصيدة ابتداء الشاعر باسم (الخمرة) فربطها بالإلهية وكلاهما اسمين، وهنا يقصد بها المعرفة الإلهية الصافية.

وقد تم التغريض داخل مقاطع القصيدة بالإحالة إلى "المدامة" بالضمائر المتصلة والمنفصلة فلا يخلوا مقطع من الإحالة اليها:

ولولا شذاها ما اهتديتُ لحانها ولو لا سناها ما تصوَّرها الوهمُ[1]

وكذلك:

ولوْ قرَّبوا منْ حلها مقعداً مشى وتنطقُ منْ ذكري مذاقتها البكمُ[2]

لا يكاد يخلو بيت من القصيدة الا ويرتبط وفق هذه الإحالة، حتى إلى نهاية البيت الأخير من القصيدة.

فلا عيشَ في الدُّنيا لمنْ عاشَ صاحياً ومنْ لمْ يمتْ سكراً بها فاتهُ الحزمُ

على نفسهِ فليبكِ منْ ضاعَ عمـــــرهُ وليسَ لهُ فيها نصيبٌ ولا سهـــمُ[3]

[1] المصدر السابق، ص121.

[2] المصدر نفسه، ص121 - 122

[3] المصدر السابق، ص123.

نلاحظ أن جل أبيات القصيدة لها ارتباط دلالي بالعنوان الرئيسي والمتمثل في هذه الخمرة.

3- المناسبة:

إن المناسبة من أهم العوامل التي تحقق الانسجام النصي، فهي علاقة بين المتناسبين وتكون إما ظاهرة أو خفية كما تطرقنا لها في الفصل الأول.

وطبقا لهذه العلاقة سنحاول توضيحها في قصيدة "ابن الفارض" من خلال دراسته العلاقة القائمة بين العنوان والأفكار التي تحملها الأبيات الشعرية.

فمن خلال دراستنا لقصيدة الخمرة الإلهية نجدها تحمل موضوع واحد وهو متعلق بهذه المدامة.

يقول الشاعر:

شربنا على ذكرِ الحبيبِ مدامـــةً سَكِرْنا بها، من قبلِ أن يُخلق الكَرمُ
لها البدرُ كأسٌ وهيَ شمسٌ يديرها هِلالٌ، وكم يبدو إذا مُزِجَتْ نَجـــمُ[1]

وفي البيت الأخير:

وليسَ لهُ فيها نصيبٌ ولا سهمُ على نفسهِ فليبكِ منْ ضاعَ عمرهُ[2]

هناك علاقة بين عنوان القصيدة والأفكار الموجودة في هذه الأبيات، بحيث نجد هذه الخمرة غمرت الوجود كله، ويقصد بها هنا العلاقة التي تربط الأبيات داخل وحدة (تيمة) ثم علاقتها بوحدة الخطاب (الخمرة الإلهية).

[1] المصدر نفسه، ص121.
[2] المصدر نفسه، ص123.

إذن هذه الأبيات تحمل معنى واحد، مما أسهم في تماسك القصيدة وانسجامها فأفكار القصيدة متناسبة مع عنوان القصيدة ومكملة لبعضها البعض.

4- موضوع الخطاب:

يعد كذلك موضوع الخطاب آلية من آليات الانسجام فهو يسهم في تماسك وترابط النص ككل، فالمواضيع المشكلة له تتحد وتتجمع لتؤدي إلى موضوع أساسي يدور حول هذا الخطاب.

وبناءً على ذلك فقصيدة الخمرة الإلهية بالرغم من أنها تتألف من(41) بيت إلا أنها تحمل موضوعا واحداً، فابن الفارض في أبياته يتغنى بالحب الذي يقوده إلى الذات الإلهية.

يقول الشاعر:

وعنديَ منها نشوةٌ قبلَ نشأتـــي معي أبداً تبقي وإنْ بلىَ العظـــمُ
عليكَ بها صرفاً وإنْ شئتَ مزجها فعدلكَ عنْ ظلمِ الحبيبِ هوَ الظُّلمُ[1]

فمن خلال دراستنا لهذه القصيدة تبين لنا أن الشاعر من خلال نظمه لهذه الأبيات ربط عنوانها بفاتحة الموضوع، وهذا ما حقق لنا الانسجام داخل أبياتها.

[1] المصدر السابق، ص122 – 123.

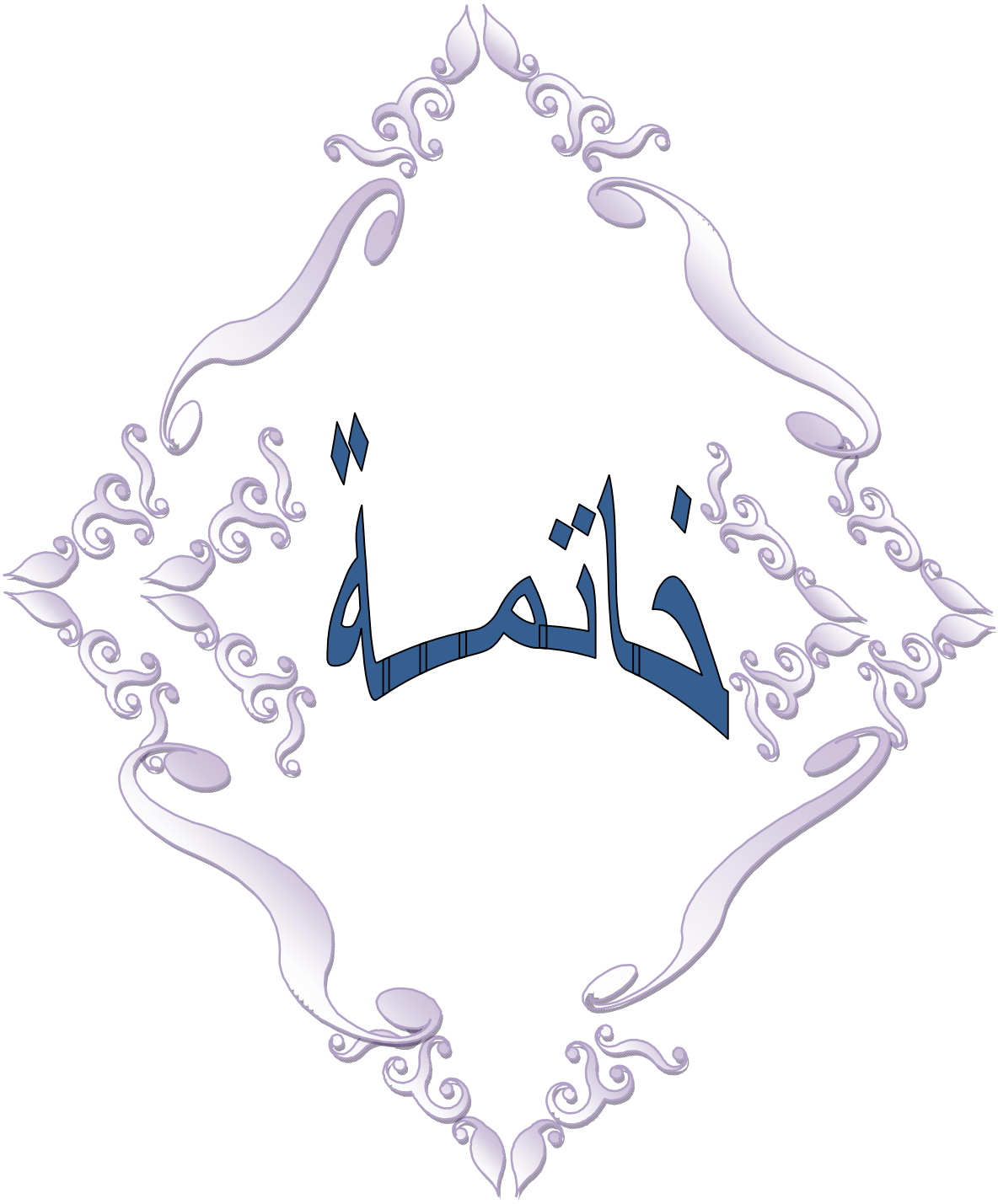
خاتمة

من خلال رصد المفاهيم العامة للاتساق والانسجام، وخصوصاً في قصيدة الخمرة الإلهية "لابن الفارض"، ومن خلال دراسة آليات الاتساق والانسجام فيها توصلت إلى جملة من النتائج تمثلت في:

أولا: الجانب النظري:

1. يقصد بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة للنص، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب أو خطاب برمته.
2. للاتساق أدوات شكلية تساهم في ترابط أجزاء النص النحوية، وتتمثل في الإحالة، الاستبدال، الوصل، الحذف، الاتساق المعجمي بنوعيه، التكرار والتضام.
3. الاتساق ذو طبيعة شكلية، والانسجام ذو طبيعة دلالية، وان كلا من الطبيعتين تتضافر معاً وتحقق لنا التماسك الكلي للنص.
4. يعد الاتساق النصي من أبرز المعايير النصية التي لا يمكن التخلي عنها من أجل الحكم على النص، فهو يؤدي دوره من خلال جملة الأدوات.
5. الانسجام من أهم المقاييس النصية التي تميز بين النص واللانص، فهو مجموع العلاقات الخفية التي تحقق لنا التماسك الدلالي، بالاعتماد على عناصر نصية تمثلت في: السياق، التغريض، المناسبة، وموضوع الخطاب.

ثانيا: الجانب التطبيقي:

اشتملت قصيدة "ابن الفارض" على مجموعة من أدوات الاتساق والانسجام أهمها:

1. تنوع الضمائر المتصلة والمنفصلة ما بين الغائب والمخاطب، والتي أسهمت في اتساق القصيدة وترابطها.

2. طغى على القصيدة حضور الإحالة القبلية التي تحيل إلى الموضوع الرئيسي، فقد أسهمت في اتساق القصيدة، وجعلتها مترابطة من أولها إلى آخرها.

3. يعد الوصل من أهم الأدوات التي أسهمت في اتساق القصيدة، من خلال ربط الجمل بعضها ببعض، بل في مقاطع القصيدة بأكملها.

4. تنوع التكرار بنوعية التام والجزئي، وقد تم استخدامه في القصيدة بكثرة وأسهم أيضا في تماسك أجزاء القصيدة.

5. ساهمت الآليات الدلالية كالسياق والتغريض والمناسبة وموضوع الخطاب في عملية الانسجام النصي للقصيدة، بحيث شكلت تمظهرات نصية واحدة، وساهمت في تحقيق الانسجام والترابط الشديد للقصيدة.

وختاما أرجو أن تكون هذه الدراسة حققت غرضها، وقدمت فائدة في دراسة آليات الاتساق والانسجام.

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

1. المعاجم:

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
- بطرس البستاني، محيط المحيط، لبنان، بيروت، ج1، ط1، 1987م.
- معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، دار الدعوة، إسطنبول، تركيا

2. المصادر والمراجع:

- ابن الفارض (ابو حفص عمر بن ابي الحسن)، الديوان، اعتنى به وشرحه هيثم هلال، لبنان: بيروت، دار المعرفة، ط1، 2003.
- أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، كلية دار العلوم، القاهرة، ط1، 2001م.
- أحمد محمد قدور، مبادئ في اللسانيات، دار الفكر، دمشق، برامكة، ط3، 2008م.
- الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.
- جميل الحمداوي، محاضرات في لسانيات النص، الألوكة
- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص نحو آفاق جديدة.
- سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، ط1، 1990م.
- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والتوزيع، 2000.
- عمر أبوحزمة، نحو النص نقد النظرية ... وبناء أخرى، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2004م.

- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، مكتبة الأدب العربي، ط1، 2001م.
- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، بيروت، الحمراء، ط1، 1991م.
- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999م.
- محمود عكاشة، دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، مكتبة الرشد، ط1، 2014.
- د. مهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى، أكاديمية الفكر الجماهيري، ط1، 2011م.
- د. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009م.
- وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر البرجاني، دار الفكر، ط1، 1983م.
- يمنى العيد، في معرفة النص (دراسات في النقد الأدبي)، بيروت، ط1، 1983م.

3. المراجع المترجمة:

- تون أ. فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة الكتاب، ط1، 2001م.
- ج. ب. براون ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليباني ود. منير التريكي، جامعة الملك سعود، 1997م.

- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، تر: الدكتور تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط1، 1998م.
- فان دايك، النص والسياق، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 2000.
- كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية، تر: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار القاهرة، ط2، 2010م.

4. المراجع الأجنبية:

- Lewandouski: Theoder: Linguistic, Woerterbich, heidelberg, Wiesbaden, 1994.
- Sowilski, Bernhard: Text Linguistic verlage. W.Koll Hammer, Stutrgart, Berlin, Koelm. Minz 1983.

5. المجلات:

- ريما سعد الجرف، مهارات التعرف على الترابط في النص، مجلة رسالة الخليج العربي.
- مجلة الأثر، العدد 23، ديسمبر 2015.
- مجلة جامعة دمشق، عناصر الاتساق والانسجام النصي: جامعة دمشق، م29، العدد (1+2)، 2013.

6. المذكرات:

- شعيب محمودي، بنية النص في سورة الكهف (مقاربة نصية للاتساق والسياق)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات، بإشراف د. يحي بعيطيش، 2009 / 2010.

- قليل يوسف، رمزية الصورة الفنية في شعر ابن الفارض، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب القديم، 2016 / 2017.

فهرست المحتويات

- **البسملة**

- **شكر وتقدير**

- **الإهداء**

- **مقدمة** ..... أ-ج

الفصل الأول: آليات الاتساق والانسجام 01

المبحث الأول: مفهوم الاتساق والانسجام 01

1- مفهوم الاتساق 01

2- مفهوم الانسجام 06

المبحث الثاني: أدوات الاتساق والانسجام 10

1- أدوات الاتساق **10**

1.1 الإحالة 11

2.1 الاستبدال 16

3.1 الحذف 17

4.1 الوصل 20

5.1 الاتساق المعجمي 22

2- آليات الانسجام **26**

1.2 السياق 26

2.2 المناسبة 33

3.2 موضوع الخطاب 34

4.2 التغريض 35

المبحث الثالث: الفرق بين الاتساق والانسجام..... 38

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية 39

المبحث الأول: الشاعر "ابن الفارض" 39

1-حياته 39

2- ديوانه 41

المبحث الثاني: الاتساق في قصيدة "ابن الفارض" 43

1- الإحالة 43

2- الوصل 47

3- الاستبدال 49

4- الحذف 49

- الاتساق المعجمي 49

المبحث الثالث: أدوات الانسجام في قصيدة "ابن الفارض" 55

1-السياق 55

2-التغريض 58

3- المناسبة 59

4-موضوع الخطاب 60

الخاتمة 61

قائمة الملاحق 63

قائمة المصادر والمراجع .

الفهرس .